سلسلة (دراسات أسلوبية)

سورة النازعات

قراءة أسلوبية

تأليف

د/ عبد الحميد هنداوي

مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي البحث

لقد استطاعت الدراسات الأسلوبية الحديثة أن تنفذ في دراسة النص الأدبي إلى مناطق كانت شبه مهجورة في الدراسات البلاغية القديمة.

وذلك أن المتصفح لأبواب علم البلاغة- حسب تقسيمه الذي استقر عليه على يد السكاكي إلى علومه الثلاثة المعاني والبيان والبديع- لا يكاد يجد فيها حديثا مفصلا يتعمق دراسة الوسائل التعبيرية المكونة للنص الأدبي بدءا من الوحدات الصوتية (الفونيمات) ومرورا بالصيغ الصرفية (المورفيمات) أو يقف بالدراسة المتأنية لاستجلاء الدلالة المعجمية لمفردات النص ومدى اتساقها مع طبيعة الغرض والفكرة وسياق النص الأدبي.

نعم، هناك إشارات سريعة وخاطفة في شروط فصاحة الكلمة في فن الفصاحة الذي جعلوه لصغره ووجازته كمقدمة لعلوم البلاغة، وليس علما مستقلا بذاته[1].

وقد كان من الممكن استثمار تلك المقولات في فن الفصاحة، خاصة وأنها تتعرض لبعض سمات الكلمة الصوتية من جهة تركيبها الصوتي وما يعرض

(١) اللهم إلا محاولات بعض البلاغيين التى لم تصل إلى حد كبير من النضج والتعمق الأسلوبي بحسب طبيعة عصرها، وذلك كمحاولة الطيبي سنة ٧٤٣هـ في كتابه (التبيان في المعاني والبيان، حيث جعل الفصاحة علما مستقلا قسيما للبلاغة، وليس مقدمة لها، ولا قسما منها، وقد بينت ذلك تفصيلا في تحقيقي للكتاب، طبعة مؤسسة نزار الباز- مكة، وفي رسالتي للماجستير عن الطيبي وجهوده البلاغية- ط مؤسسة نزار الباز.

لها بحسب ذلك من الخفة والثقل وصعوبة التركيب وغير ذلك.

ولكن للأسف الشديد وقفت تلك الدراسات عند هذا الحد، ولم يزد عليها المتأخرون شيئاً، كما أن الدراسات البلاغية الحديثة قد اكتفت في الغالب بانتقاد تلك المقولات أو محاولة تصويبها دون استثمار تلك المحاولة أو الإضافة إليها وتعميقها.

كذلك فقد وقفت الدراسات البلاغية في استجلاء إمكانات الكلمة من الناحية الصرفية، وإثارة دلالات الصيغ المختلفة عند التفريق بين دلالتي كل من الاسم والفعل على العموم، دون محاولة استقصاء دلالات الصيغ الكثيرة المتعددة للاسم أو الفعل، اللهم إلا إشارات نادرة وخاطفة قلما توجد عند المنظرين للبلاغة، وأكثر ما توجد في كلام التطبيقيين لا سيما أصحاب التفسير البياني للقرآن الكريم على قلتهم وندرتهم[1].

ولا يكاد يختلف الحال كثيرا في النظر إلى الدلالات المعجمية للكلمة المفردة، ومحاولة استجلاء ظلالها وإيحاءاتها المختلفة في تشكيل الدلالة الفنية للنص الأدبي.

---

(١) بينت ذلك تفصيلاً في رسالتي للدكتوراة بعنوان (التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة دراسة نظرية تطبيقية) مخطوط بكلية دار العلوم، ونشرت بعنوان (الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم) المكتبة العصرية – بيروت.

ومن ثم نستطيع أن نقرر مطمئنين أن البلاغة العربية- لا سيما الجانب النظري منها- قد ظلمت الكلمة المفردة من جهة النظر البلاغي إلى حد كبير، وليس المقصود أن نصف الكلمة المفردة بالفصاحة أو البلاغة خارج سياقها؛ فهذا أمر مفروغ منه؛ فالكلمة خارج السياق لا توصف بفصاحة ولا بلاغة؛ وإنما المقصود هو الوقوف بالدراسة المتأنية أمام الطاقات الدلالية لهذه الكلمة داخل سياقها من كافة النواحي والمستويات (الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والمقامية..) والأمر الذي نقرره لا يحتاج في إثباته إلا أن ننظر نظرة سريعة إلى مباحث علوم البلاغة الثلاثة ومقدمتها الفصاحة.

وإذا ما استثنينا الفصاحة بملاحظاتنا السابقة عليها، فلا نكاد نجد في العلوم الثلاثة ما يستدرك النقص الذي أشرنا إليه.

فمباحث علم المعاني كلها تتعلق بالإسناد والتركيب.

ومباحث علم البيان وإن كان بها نظر إلى الدلالة المعجمية للكلمة واستعمالها من جهة الحقيقة والمجاز؛ فإنها قد اقتصرت على مباحث البيان المعروفة المعدودة (التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز)

أما الوقوف لاستجلاء ظلال الكلمة وإيحاءاتها إذا لم تكن تشبيها ولا استعارة ولا كناية ولا مجازا فلا

تكاد تظفر فيه بشيء.

وعلم البديع قد يقف عند بعض السمات الصوتية كالسجع والجناس ونحو ذلك، غير أن استجلاء السمات الصوتية للكلمة لا يقف بالضرورة من الناحية الأسلوبية عند حدود مباحث علم البديع على كثرتها.

ومن ثم؛ فإننا نقول: إن البحث البلاغي لابد أن يتسع لدينا؛ ليشمل جميع المستويات اللغوية للكلمة والكلام على المستوى الصوتي والمعجمى، والصرفي والنحوي والمقامي..

وغنى عن البيان أن نقرر أن دراسات البلاغيين القدامي وإن لم تكن باتساع الدراسة الأسلوبية في تحليل الكلمة والكلام فإنها لم تكن تضيق عن دراسة تلك المستويات جميعا حيث لم تكن الدراسة حينئذ تفرق بين ما هو أصوات وما هو صرف أو معجم أو نحو أو دلالة أو بيان..

فهذه الدراسات كانت تتواكب جميعها وتتلاحم في عمل الناقد أو البلاغي وتصدر عن رؤية واحدة، ونظرة واحدة إلى اللغة في التحليل للنصوص وهى استجلاء طاقاتها الكامنة على جميع المستويات اللغوية المعروفة.

كما أننا نقرر كذلك أن الدراسات التطبيقية في كتب المفسرين للقرآن الكريم وشراح الحديث النبوي،

قد استدركت كثيرا مما فات البلاغيين التنظيريين في ذلك؛ وإن كانت لا تقدم في ذلك بطبيعة الحال ما يصلح أن يمثل نظرية متكاملة.

والآن، وقد استنارت الدراسات البلاغية الحديثة بتلك الرؤى الأسلوبية المعاصرة التى تستجلي جميع بنى النص ومفرداته على كافة المستويات اللغوية، لابد من إعادة تحليل نصوصنا الأدبية التى نعتز بها في ضوء تلك الرؤية الأسلوبية المعاصرة، والتي لم تضق عنها تحليلات البلاغيين القدامى المتميزين كأمثال عبد القاهر والزمخشري ومن سار على دربهما.

ولذا، فقد حاولت في هذه الدراسة المتواضعة أن أقوم بمحاولة في هذا الجانب تستجلي بعض معطيات النص القرآني الكريم في سورة النازعات في كافة المستويات اللغوية التى سبق الإشارة إليها.

وقد قام منهج الدراسة الأسلوبية لهذا البحث على الأسس التالية:

١-تحديد الغرض العام للنص أو فكرته الأساسية.

٢-تقسيم النص إلى وحدات أو فقر تشتمل كل فقرة على فكرة أساسية، وتتلاحم هذه الأفكار فيما بينها لتشكل من خلال وحدتها الموضوعية موضوع النص وغرضه العام.

٣-تحليل الوسائل التعبيرية الموظفة في النص للتعبير عن أفكاره وذلك على مستوى المفردات والتراكيب لبيان مدى اتفاقها ومناسبتها للفكرة المعبرة عنها.

٤-تغطية كافة المستويات اللغوية الدلالية بالوقوف على أبرز مظاهر التطابق بين الفكرة والوسائل التعبيرية **على كل من:**

أ-المستوى المعجمي.
ب-المستوى الصوتي.
ج-المستوى الصرفي.
د-المستوى النحوي

٥-يتم التحليل على أساس النظر في الإجراءات الأسلوبية من جهة:
أ-اختيار وسائل تعبيرية معينة.
ب-العدول عن وسيلة تعبيرية إلى وسيلة أخرى.
ج-التكرار الأسلوبي لوسيلة تعبيرية على مدار النص[١].

وقد تم النظر من جهة البحث في مدى تطابق ذلك الاختيار أو العدول أو التكرار ومناسبته

(١) راجع الكلام على كل من الاختيار والعدول والتكرار في دراسة مفصلة عن الأسلوب ضمن رسالتي للدكتوراة (التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة- دراسة نظرية تطبيقية) وقد فصلت الحديث عن تلك الإجراءات الأسلوبية في تلك الرسالة في أكثر من مائة صفحة بما يغني عن إعادته هنا.

لأغراض النص وأفكاره.

٦-كما تم تذييل البحث بخاتمة توضح أهم السمات الأسلوبية لهذه السورة الكريمة.

هذا، والله أسأل أن يكون هذا البحث نافعاً لعباده، وأن يكون خطوة في سبيل تقدم الدراسات القرآنية والبلاغية، وأن يجزل لكاتبه المثوبة عليه في الدنيا والآخرة، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

عبد الحميد هنداوي

الجيزة – رمضان سنة ١٤٢٢هـ

نوفمبر سنة ٢٠٠١م

دراسات أسلوبية في القرآن الكريم

١ ـ سورة النازعات قراءة أسلوبية

الغرض العام والأفكار الأساسية.

الغرض العام في هذه السورة هو تثبيت قاعدة الإيمان باليوم الآخر، وهذا الغرض ينتظم أجزاء هذه السورة كلها ، فهي تبدأ بتأكيد البعث والجزاء بالقسم في أول السورة ، مذكرة بسكرات الموت، وتصوير حالة النزع وما تشتمل عليه من تعذيب للكافر وإراحة للمؤمن، مروراً بالنفخ في الصور، وما يتبع ذلك من وجف ووجل وخوف واضطراب ، ثم تنتقل السورة إلى بيان جزاء المكذبين للبعث في الدنيا والآخرة ضاربة في ذلك المثل بفرعون إذ جاءه موسى فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى فكان الجزاء أن أخذه الله نكال الآخرة والأولى وجعل في ذلك عبرة وعظة لمن يخشى .

ثم تنتقل السورة بعد ذلك إلى عظة المكذبين المعاندين ببيان دلائل قدرة الله تعالى في خلقه للسموات والأرض والماء والمرعى والجبال والأنعام وغير ذلك ، وبيان أن هذه الأشياء أشد خلقا من الإنسان ، وقد خلقه الله تعالى وهو قادر على بعثه وجزائه .

ثم تعود السورة إلى الإلحاح المباشر على التذكير بالبعث وبيان أهواله وتصوير مواقفه المختلفة يوم القيامة ، حيث تعرض السورة مشهد الحساب والجزاء لكل من أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم. ثم تختم الآيات بتعظيم أمر الساعة وإبهام وقتها وبيان

وظيفة الداعي إزاءها وهو مجرد تذكير من يخشاها .

ومن ثم يمكننا أن نقسم السورة إلى ستة مقاطع يحمل كل مقطع فكرة أساسية ، ومن مجموع هذه المقاطع والأفكار يتضح الغرض العام في هذه السورة .

ويمكننا أن نحدد الغرض العام في هذه السورة والأفكار الأساسية التي يشتمل عليها في النقاط التالية:

الغرض العام: تثبيت قاعدة الإيمان باليوم الآخر .

الفكرة الأولى : التذكير بالموت وتوكيد البعث .

الفكرة الثانية : تصوير مشاهد البعث والقيامة وما فيها من أهوال وأوجال .

الفكرة الثالثة : بيان جزاء المكذبين بالبعث من خلال قصة فرعون مع موسى عليه السلام والاعتبار بحالهم ومآلهم.

الفكرة الرابعة: عظة المكذبين ببيان دلائل قدرة الله تعالى في الكون وقدرته على بعثهم.

الفكرة الخامسة: العودة إلى التذكير بالبعث وبيان أهواله ، وتصوير مشاهد الحساب يوم القيامة .

الفكرة السادسة: تهديد المكذبين المستبعدين للساعة ، وتعظيم أمرها وتهوين قيمة الدنيا وإزاءها .

وسوف نقف الآن عند كل فكرة من هذه الأفكار

نتامل كيف عبر عنها القران مطابقا اتم المطابقة بين الألفاظ والمعاني .

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا* وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا*﴾

(النازعات ١-٥)

الفكرة الأولى

التذكير بالموت والبعث

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا *﴾

قد جاء القسم مذكراً بحقيقة الموت التي غفل عنها هؤلاء المكذبون من خلال الإقسام بالملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار فيغرقون في النزع ، أو ينشطون أرواح المؤمنين نشطا ، فيسلونها برفق وتؤدة ولين .

وتتضافر أدوات اللغة بكافة مستوياتها (الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية) للتعبير عن هذه الفكرة مع إلقاء ظلال متعددة للمعنى تعمق هذه الفكرة، وتلقي عليها من تضاعيف المعاني ما يجعلها بعيدة الغور ، ذات مغزى بعيد.

أولاً: تحقق التطابق على المستوى المعجمي:

تم اختيار الألفاظ بدقة متناهية تحقق التطابق التام من الناحية المعجمية مع المعاني التي تهدف الآيات إليها.

فالنزع: إنما يدل على اقتلاع الشيء على ما في ذلك من الشدة والقوة والمغالبة المناسبة للاشتداد على هؤلاء الكفار عند نزع أرواحهم، وعلى ذلك يدور

الاستخدام المعجمي للكلمة.[1]

والغرق: تدور معانيه حول الاستيعاب ومجاوزة الحد.[2] مما يدل على الاشتداد إلى الغاية في نزع أرواح هؤلاء الكفار أو اشتداد الخيل في نزعها وإغراقها فيه ، أو غير ذلك من المعاني، والإغراق على المعنى الثاني وما شاكله يدل على أن حركة الحياة مهما جاوزت مداها فهي إلى زوال وسكون بعد ذلك .

والنشط : تدور معانيه حول سهولة الحركة ويسرها واختلاس الشيء بسرعة ، وحل عقدته[3] وهذا

---

(١)نزع الشيء ينزعه نزعاً، فهو منزوع: اقتلعه فاقتلع، يقال: فلان ينزع نزعاً إذا كان في السياق عند الموت، ونازعتني نفسي إلى هواها نزاعاً: غالبتني. ونزعتها أنا: غلبتها. ونزع الدلو: جذبها وأخرجها.(اللسان: نزع).

(٢)الغرق: الرسوب في الماء. ورجل غرق وغريق، وقد غرق غرقاً وهو غارق، والجمع غرقى. والغرق: الراسب في الماء، والغريق الميت فيه، وقد أغرقه غيره وغرقه، فهو مغرَّق وغريق. والغرق: الذي غلبه الدين. والمغرق: الذي قد أغرقه قوم فطردوه وهو هارب عجلان. والتغريق: القتل. والغرق في الأصل: دخول الماء في سمِّى الأنف حتى تمتلئ منافذه فيهلك. وغرقت القابلة المولود فغرق: خرقت به فانفتقت السابياء فانسد أنفه وفمه وعيناه فمات. وأغرق النبل وغرقه: بلغ به غاية المد في القوس. والاستغراق: الاستيعاب. وأغرق في الشيء: جاوز الحد. والإغراق في النزع: أن ينزع حتى يشرب بالرصاف وينتهي إلى كبد القوس وربما قطع يد الرامي. واغترق الفرس الخيل: خالطها ثم سبقها. واغتراق النفس: استيعابه في الزفير.(اللسان: غرق).

(٣) النشاط ضد الكسل. ونشط الإنسان ينشط نشاطاً، فهو نشيط: طيب النفس للعمل، والنعت ناشط. والمنشط: هو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه. ورجل نشيط ومنشط: نشط دوابه وأهله. ورجل متنشط: إذا كانت له دابة يركبها. ورجل منتشط: من الانتشاط إذا نزل عن دابته من طول الركوب. ونشط الدابة: سمن. وأنشطه الكلأ: أسمنه. ونشط من المكان ينشط: خرج. والناشط: الثور الوحشي الذي يخرج من بلد إلى بلد. ونشطت الإبل تنشط نشطاً: مضت على هدى أو غير هدى. ونشط الطريق ينشط: خرج من الطريق الأعظم يمنة أو يسرة. والأنشوطة: عقدة يسهل انحلالها مثل عقدة التكة. وقد نشط الأنشوطة ينشطها نشطاً ونشطها: عقدها وشدها.

مناسب للسياق متجه على جميع المعاني التي حملت عليها الآية، سواء بالنسبة لسهولة استخراج أرواح المؤمنين، وسلها برفق وتؤدة ولين، أو بالنسبة لسهولة حركة الكون في النجوم وغيرها بسرعة دورانها الذي يقابل بينه وبين السكون والخمود الذي تنذر به الآيات.

أما السبح والسبق والتدبير فهي أفعال يدور استخدامها جميعاً في الحركة والتقلب والسعي والاضطراب[1]، مما يناسب التعبير عن حركة الحياة

وأنشطها: حلها. ونشط الدلو من البئر ينشطها وينشطها نشطاً: نزعها وجذبها. وبئر أنشاط وإنشاط ونشوط: لا تخرج منها الدلو حتى تنشط كثيراً. ونشطه في جنبه ينشطه نشطاً: طعنه. ونشطته الحية تنشطه وتنشطه نشطاً وأنشطته: لدغته وعضته بأنيابها. وانتشط الشيء: اختلسه. والنشيطة: ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصدوه. والنشيطة: ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته. وانتشطت السمكة: قشرتها. والنشوط: ضرب من السمك. والناشطات: هي النجوم، وقيل هي الملائكة. والنشط: ناقض الحبال في وقت نكثها لتضفر ثانية. وتنشطت الناقة في سيرها: وذلك إذا شدت.(اللسان:نشط).

(١)سبح يسبح سبحاً وسباحة، السبح والسباحة: العوم. وسبح الفرس: جريه. والسوابح: الخيل لأنها تسبح. وفرس سابح إذا كان حسن مد اليدين في الجري. والنجوم تسبح في الفلك سبحاً إذا جرت في دورانها. والسبح: الفراغ. وقوله تعالى: "وكل في فلك يسبحون" أي يجرون، وكذلك قوله: "والسابحات سبحا"؛ هي النجوم تسبح في الفلك أي تذهب فيها بسطاً كما يسبح السابح في الماء سبحاً؛ وكذلك السابح من الخيل يمد يديه في الجري سبحاً. وقيل: السابحات: السفن. وسبح في الكلام إذا أكثر فيه. والسبح: التقلب والانتشار في الأرض والتصرف في المعاش.(اللسان:سبح)

والسبق: القدمة في الجري وفي كل شيء؛ وله في كل أمر سبقة وسابقة وسبق، والجمع الأسباق والسوابق. والسبق: مصدر سبق. وقد سبقه يسبقه ويسبقه سبقاً: تقدمه. واستبقنا في العدو أي تسابقنا. وله سابقة في هذا الأمر إذا سبق الناس إليه. وسبقك:الذي يسابقك، وهم سبقي وأسباقي. والعرب تقول للذي يسبق من الخيل سابق وسبوق، وإذا كان يسبق فهو مسبق. وسبقت الخيل وسابقت بينها إذا أرسلتها وعليها فرسانها لتنظر أيها يسبق. (اللسان:سبق).

ودبر كل شيء: عقبه ومؤخره؛ وجمعها أدبار. ودبر الشهر: آخره. وإدبار النجوم: تواليها، وإدبارها: أخذها إلى الغرب للغروب آخر الليل. ودابر القوم: آخر من يبقى منهم وبجيء في آخرهم. ودبرت الرجل إذا بقيت بعده. وعقب الرجل: دابره. والمدبرة:الإدبار. ودبر بالشيء: ذهب به. ودبر الرجل: ولى وشيخ. ودبر النهار

في هذا الكون، ويناسب في الوقت نفسه التقابل بين هذه الحركة وبين السكون الذي تنذر به الآيات وتخوف به.

ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي:

إذا كانت المصادر التي ذيلت بها الآيات قد أدت دورها في تأكيد تلك المعاني والأحداث المذكورة من النزع والنشط والسبح والسبق والتدبير ، فإن انتهاء هذه المصادر بتلك المدود الطبيعية التي يقف عليها القارئ عند رؤوس تلك الآي يمثل نوعا آخر من التوكيد لتلك الأفعال والأحداث، وهو أن تلك الأفعال قد بلغت الغاية.

هذا ما نحس به ونستشعره من دلالة المد في قوله تعالى (غرقا) حينما نقف على رأس الآية كما هو أصل القراءة ، حيث نحس أن هذا المد يصور لنا أن هذا النزع قد بلغ الغاية في الإغراق فهو نزع شديد مديد كذلك المد الذي تنتهي به هذه الكلمة ، وهذه الآية المصورة لذلك النزع ، أيا كان ذلك النزع ، نزع الملائكة أرواح الكفار ، أم نزع الخيل في أعنتها ،أم نزع النجوم من منزل إلى منزل أم غير ذلك .

وهذا ما نحس به أيضاً من المد في (نشطا) حيث نحس أن نشط هذه الأرواح المؤمنة إنما هو في غاية السهولة واليسر وهكذا في دلالة كل من السبح والسبق ، وكذلك في (المدبرات أمرا) فهو أمر دائم لا ينقطع،

وأدبر: ذهب. وأمس الدابر: الذاهب؛ ويروى المدبر. والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر: التفكر فيه. والتدبير: أن يتدبر الرجل أمره. والرأي الدبري: الذي يمعن النظر فيه وكذلك الجواب الدبري. (اللسان:دبر) .

مادامت أوامر الله تعالى دائمة لا تنقطع كذلك إلى هؤلاء الملائكة، أو مادامت الحياة مستمرة وتلك الكائنات الموصوفة تدبر أمرها.

وإذا كان التعبير باسم الفاعل في هذه الأفعال والأحداث قد دل على دوام تجددها وحدوثها فإن الدلالة الصوتية التي توحي بها هذه الآيات إنما تدل على سرعة انقضاء تلك الأفعال وزوالها مهما استمرت وتجدد حدوثها.

هذه الحقيقة وهي سرعة زوال الدنيا وانقضائها هي الحقيقة التي ركزت السورة على إشعار القلب البشري بها "وفي الطريق إلى إشعار القلب البشري حقيقة الآخرة الهائلة الضخمة العظيمة الكبيرة يوقع السياق إيقاعات منوعة على أوتار القلب، ويلمسه لمسات شتى حول تلك الحقيقة الكبرى. وهى إيقاعات ولمسات تمت إليها بصلة. فتلك الحقيقة تمهد لها في الحس وتهيئه لاستقبالها في يقظة وفي حساسية.

يمهد لها بمطلع غامض الكنه يثير بغموضه شيئاً من الحدس والرهبة والتوجس. يسوقه في إيقاع موسيقي راجف لاهث، كأنما تنقطع به الأنفاس من الذعر والارتجاف والمفاجأة والانبهار ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا*

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا *﴿١﴾

ونستطيع أن نلمح بعض الإيحاءات الصوتية الداخلية في ألفاظ الآيات التي تتحقق بها المطابقة بين اللفظ والمعنى مما يدل دلالة صارخة على إعجاز هذا الكتاب الخالد.

ففي قوله (غرقا) نلحظ الإيحاء بالتكرارية من خلال النطق بحرف الراء ذي الطبيعة التكرارية ، مما يوحي بنزع وإغراق متكرر شديد أما في قوله (نشطا) نلحظ انفتاح الفم في الشين الشجرية التي ينفتح لها جانبا الفم ويمتدان يمينا وشمالا في يسر وسهولة تناسب اليسر والسهولة في هذا النشط لأرواح المؤمنين على هذا القول، وهو قول متجه في النزع والنشط غير بعيد عن سياق الآية، بينما نلحظ القلقلة في (سبحا) و (سبقا) بما يتناسب مع الحركة والاضطراب في دورة الحياة ، خاصة وأن هذه المصادر جاءت لتؤكد أحداثاً تقع في هذه الحياة.

أما في (أمرا) فنلحظ الجزم والقطع في النطق بالميم الساكنة التي ينغلق الفم عند النطق بها معبرة عن **هيئة الحزم والجزم والقطع والبت في الأمور** بما يتناسب مع تدبير الأمر.

نلاحظ كذلك التناسب في طبيعة غنة النون المشددة في كل من النازعات والناشطات وغنة النون

(١) سيد قطب/ الظلال: ٣٨١١/٦.

تارة تأتي في الترنم في حالة الفرح والسرور، وتارة تأتي عند الحزن والأنين وقد وظفت تلك الغنة للنون المشددة بكلتا الدلالتين، حيث وظفت موحية بالبكاء والحزن والأنين في النازعات ، كما وظفت موحية بترنم الفرح والسرور في الناشطات.

بينما نلمح في كل من السابحات والسابقات في جرس السين المهموسة المشددة مع تكرار ذلك أيضاً في المصادر ما يتناسب مع الحركة والاضطراب من تصويت وتشويش، كما نلمح في المدبرات اقتراب أحرف الميم والدال والباء في المخارج والنطق مما يوحي بسرعة التدبير، كما نلمح كذلك في الميم والباء وما فيهما من انغلاق الفم في كل منهما وانفجاره في الباء ما يوحي بالجزم والحزم والقطع في تدبير الأمور وهو ما يتناسق ويتناغم كذلك مع ميم الأمر. كذلك يتناسب حرف الراء في المدبرات والأمر مع ما في الأمر والتدبير من تكرار وتجدد واستمرارية.

وأخيراً نلحظ هذا التناسب الإيقاعي في فواصل هذه الآيات من هذا الاطراد الموسيقي للتنوين أو المد .

ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى الصرفي.

يمثل المستوى الصرفي في مطلع هذه السورة مفتاحاً للغرض العام في هذه السورة الكريمة، ووسيلة من أهم الوسائل التعبيرية التي ارتكزت السورة عليها للإيحاء بذلك الغرض العام

نلاحظ أن الآية قد اتكأت في هذا المطلع على

توظيف اسم الفاعل بما له من دلالة مزدوجة تجمع بين دلالتي كل من الاسم والفعل من حيث الثبات في الاسم والتجدد والحدوث في الفعل ، فاسم الفاعل ، وإن كان يصنف في باب الأسماء ، فإنه ينوب مناب الفعل ويسد مسده في مواطن كثيرة ويعمل الرفع في فاعله على نحو قولهم:

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا ..البيت

فإن اسم الفاعل في هذا البيت يعادل الفعل (قطن) وبه ارتفع الفاعل بعده ، ومن ثم يجتمع في اسم الفاعل كل من دلالتي الاسم والفعل وقد ظهرت هذه الازدواجية في الطبيعة الصرفية لاسم الفاعل في توصيف النحاة له. ففي التقسيم القديم للنحاة لأقسام الكلم نجد أن البصريين يصنفونها في قسم الأسماء؛ بينما يصنفه الكوفيون في قسم الأفعال؛ حيث يقسمون الفعل إلى ماض ومضارع ودائم، ويعنون بالدائم صيغة اسم الفاعل[1] الأمر الذي جعل ذلك مثار جدل كبير في الدراسات اللغوية القديمة وبلغ غايته في الدراسات الحديثة والمعاصرة؛ حيث اعترضت العديد من الدراسات على هذا التصنيف. فالبعض يجعلها من قبيل الأفعال، والبعض يخصها بقسم خاص بها ونظائرها كاسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة؛ فيتميز ذلك كله بمصطلح الصفة.[2]

---

(١)انظر الزجاجي مجالس النحويين صـ ٢٤٩، والفراء معاني القرآن ١/٤٥-١٦٥، د/ إبراهيم السامرائي- الفعل زمانه وأبنيته صـ ١٩.

(٢) انظر على سبيل المثال د/ تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها صـ ٦٨ – ١٠٠، د/ فاضل الساقي – أقسام الكلام العربي ص٢١٤-٢٤٣ ، د/ إبراهيم

وقد ترتب على تلك الطبيعه المزدوجه لاسم الفاعل أن صار مشتركاً بين الدلالة على الثبوت من جهة النظر إليه كاسم في مقابل الفعل الدال على التجدد، وذلك من نحو قوله تعالى:{وما أنت بتابع قبلتهم﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾[2] قوله تعالى: ﴿وما كنا سارقين﴾[3] وهو ما نلمحه أيضاً في تعبير القرآن الكريم في قصة أصحاب الكهف عما خيم على الكهف من سكون وثبات وجمود دائم مصوراً ذلك بصيغة اسم الفاعل في هيئة كلبهم بقوله تعالى: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد}[4] فحينما ننظر إلى اسم الفاعل (باسط) في مقابل البديل الآخر المتاح في هذا السياق وهو (يبسط) نجد أن اسم الفاعل من حيث كونه اسماً يتميز عن الفعل في هذا الموضع في الدلالة على الثبات والجمود؛"فإن أحداً لا يشك في امتناع الفعل هاهنا، وأن قولنا: ﴿وكلبهم يبسط ذراعيه﴾ لا يؤدي الغرض. وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة الصفة وتجددها في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل، ومعنى يحدث شيئاً

السامرائي الفعل زمانه وأبنيته ص٤١، مالك المطلبي – الزمن واللغة صـ ٥٤،٤٦، المخزومي – في النحو العربي – صـ ١٣٩.

(١) البقرة:١٤٥.

(٢) الكافرون:٤.

(٣) يوسف:٧٣.

(٤)الكهف: ١٨.

فشيئاً..."[1] وأما إذا نظرنا إلى الفاعل من جهة ما يتضمنه من الفعلية وجريانه مجرى الفعل[2] خاصة إذا قورن بدلالة الصفة المشبهة التي تدل على الثبات واللزوم أكثر منه وبصورة صارمة لا اختلاف فيها – أقول: إذا ما نظر إليه من هذه الجهة فحينئذ تظهر له دلالته الفعلية وهي دلالته على الحدوث والتجدد.

ويمكن أن يقال إن محور المقارنة بين المضارع واسم الفاعل هو دلالة كل منهما على الحدث. وأن محور المقارنة بين اسم الفاعل والصفة المشبهة هو الدلالة على الوصف الذي يكون ثابتاً في الصفة المشبهة وغير ثابت أو لازم في اسم الفاعل.

ومن ثم يقارن الزمخشري والطيبي بينه وبين الصفة المشبهة معللاً سر العدول عنه في قوله تعالى: {إنهم كانوا قوماً عمين}[3] قال الزمخشري: "(عمين) عمى القلوب غير مستبصرين، وقرئ (عامين)، والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث"[4] ويوضح الطيبي ذلك ويعلله بقوله: "لدلالة الصفة المشبهة على الثبوت... ولأن اسم الفاعل دونها في الدلالة على الثبوت"[5].

---

(١)دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني – تحقيق أ/ محمود شاكر – صـ١٧٥.

(٢)انظر سيبويه قال سيبويه: "وفاعل مثل يفعل" الكتاب ١٠٩/١، وانظر ١١٠/١-١١٧.

(٣) الأعراف: ٦٤.

(٤) الكشاف ٦٨/٢.

(٥) فتوح الغيب للطيبي تحقيق د/ جميل الحسين المحمود ٥٧٥/١ .

ومن ثم يحدد د/ تمام حسان دلالة اسم الفاعل بقوله "صفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعاً متجدداً"[١]، وقد ذهب إلى ذلك باحثون آخرون من المعاصرين[٢]

ومن ثم فقد آثرت الآيات التعبير باسم الفاعل وكررته في مطلع السورة لتجمع بين الدلالة على ثبوت الصفة واستقرارها مع الدلالة على حدوثها وتجددها، فالنزع والنشط والسبح والسبق والتدبير كل ذلك أفعال ثابتة مستقرة، وهي في الوقت نفسه أحداث متكررة متجددة ، والجمع بين دلالتي الاسم والفعل هنا يدل على دوام حدوثها واستمرارها إلى غاية وأمد يعلمه الله تعالى.

وقد وقع الخلاف في معني هذه الصفات وفي الموصوف بها بين أهل التأويل[٣] وأغلب الأقوال أنها الملائكة "قال الألوسي: قال ابن مسعود: تنزع الملائكة روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج تردها في جسده، وهكذا مراراً فهذا عملها في الكفار، والنشط: الإخراج برفق وسهولة وهو أنسب بالمؤمنين، وكذا السبح ظاهر في التحرك برفق ولطافة، قال بعض السف إن الملائكة يسلون أرواح المؤمنين سلاً رقيقاً ثم يتركونها حتى تستريح

---

(١) اللغة العربية صـ٩٩ .

(٢) انظر د/ فاضل الساقي- أقسام الكلام العربي صـ٢٢١، مهدي المخزومي- في النحو العربي- بيروت س ١٩٦٠صـ٤١-٤٢.

(٣) انظر الطبري ١٨/٣٠-١٩.

رويداً ثم يستخرجونها برفق ولطف كالذي يسبح في الماء فإنه يتحرك برفق لئلا يغرق فهم يرفقون في ذلك الاستخراج لئلا يصل المؤمن ألم وشدة"[1] وهذا يناسب ما تقرر من أن اسم الفاعل إنما يدل على إثبات الصفة مع الدلالة على تجدد تلك الصفة؛ ومن ثم كانت دلالة اسم الفاعل في النازعات على ثبوت تلك الصفة للملائكة مع تكرار ذلك النزع منهم على ما فيه من شدة وإيلام ينالها الكافر حال نزعه.

كما يدل اسم الفاعل في الناشطات على الترفق في إخراج روح المؤمن بتركها لإراحتها ثم إعادة النشط برفق مرة أخرى إذا صح ما سبق نقل الألوسي له آنفاً عن بعض السلف وكذلك السابحات والسابقات "جوز أن يكون المراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم فيسبقون فيه إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية".[2]

ومعلوم أن ذلك السبح وذلك السبق أمور وأحداث تتجدد من الملائكة بتجدد حركتها لتدبير الأمور الموكلة بها فناسب في ذلك كله (السبح والسبق والتدبير) أن تثبت تلك الأوصاف كلها للملائكة باسم الفاعل الدال على إثبات الصفة مع التجدد.

أما القول القائل بأن النازعات والناشطات: الموت ينزع النفوس أو ينشطها، فلا أرى وجهاً لمناسبة

(١) انظر القرطبي ٦٩٨١/١٠ط الريان، الألوسي ٢٣/٣٠

(٢) روح المعاني للألوسي: ٢٣/٣٠.

وصف الموت باسم الفاعل المجموع جمع مؤنث سالما، فقائل ذلك القول – في أغلب ظني لم يقصد ذلك، وإنما قصد وصف تلك الحال المعبر عنها بالنزع والنشط بالموت إلا أن يكون قد أراد بالموت المنايا ويستبعد أن توصف المنايا بمثل هذه الأوصاف من أنها تغرق في النزع وتنشط فيه ونحوه فليس ثمة ما يمكن أن تحمل عليه تلك الصفات: النازعات والناشطات إلا أن تكون النفوس وصفت بأنها نازعات ناشطات أي ذات نزع وذات نشط، وذلك كما يقول ابن جني في معنى قوله تعالى ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾[1] أي ذي دفق "وذلك لأن ذا الدفق يكون مفعولاً كما يكون فاعلاً[2].

قال السدي وجماعة: النازعات: "النفوس تنزع بالموت إلى ربها"[3] قال ابن عباس: الناشطات: النفوس المؤمنة تنشط عند الموت للخروج "أو يكون المقصود بذلك الملائكة النازعات الناشطات. هذا على أن المقصود بالنزع والنشط ما يكون عند الموت، فأيا ما كان الموصوف بالنازعات والناشطات النفوس أو الملائكة فالوصف باسم الفاعل مناسب تمام المناسبة لتكرر النزع والنشط حالة الحشرجة وتردد الروح في الصدر إذا بلغت الحلقوم.

وكذلك على القول بأنها النجوم في نزوعها ونشطها من أفق إلى أفق وسبحها من فلك إلى فلك، وسبق بعضها بعضاً، مما يدل على دوام حركتها

---

(١) الطارق:٦.

(٢) انظر الخصائص: ١٥٢/١.

(٣) المحرر الوجيز ٤٣٠/٥، وانظر القرطبي ٦٩٨١/١٠.

وتجددها بتكرر تلك الأفعال منها على الدوام.

وكذلك على القول بأنها الخيل في سبحها وسبقها وغير ذلك، **أقول**: إن هذه الصفات مهما اختلف الموصوف بها فإن دلالة التجدد ملازمة لها، ومن ثم ناسب صوغها على اسم الفاعل على جميع الأقوال، وعلى عموم تلك الصفات.

وكان الأشبه بالصواب ما رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري أن الله تعالى أقسم بالنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات على العموم، فكل من يتأتى منه هذه الأفعال فهو داخل في القسم"(١).

وكأن النكتة في التعبير باسم الفاعل مكرراً في تلك الآيات هي الإشارة إلى أن هذه الصفات مما يتجدد ويتكرر حدوثه بتعاقب الأيام، وفيها من الآيات والعظات ما يذكر به أولو الألباب، إذ إن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم من عظائم قدرته ففي تلك الصفات وتجددها من النزع والغرق والنشط وغير ذلك أعظم العبر لمن يتعظ بتقلب الدهر وتعاقب الأيام، أيًّا كان الموصوف بالنزع والغرق كما أن في التفكير في صفات السبح والسبق والتدبير وتكرر ذلك وتجدده على

(١) انظر كلامه واختلاف أهل التأويل في هذا الموضع في تفسيره ج/٣٠، صـ١٨-١٩.

الدوام أيًا كان الموصوف به أعظم الآيات الدالة على قدرة الله تعالى، وذلك كله وثيق الصلة بمقصود تلك السورة التي ركزت على تذكرة الإنسان بقدرة الله تعالى على بعثه وحشره إليه لمحاسبته على ما قدم وأخر، وذلك واضح ظاهر من سياق السورة وخاصة الآيات التالية لتلك الآيات، ولنا عندها وقفة كذلك.

ولهذه اللمحة ذاتها ولتلك النكتة فيما نرى جاء تكرار اسم الفاعل كذلك في سورة المرسلات في قوله تعالى ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ *﴾[1] وفيها من الأقوال لأهل التأويل نحو الذي أوردناه في هذه السورة[2] مع تشابه السورتين في السياق والمساق.

وعلى هذا النسق نفسه كذلك مع اتحاد السياق والمساق تطالعنا سورة الذاريات كذلك: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا* فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ * ﴾[3] وفيها من الأقوال لأهل التأويل نحو ما نجده في سورتي

---

(١)المرسلات ١-٧.

(٢)انظر الطبري ١٤٠/٢٩، القرطبي ٦٩٤٥/١٠، روح المعاني ١٦٩/٢٩، الدر المصون ٤٥٣/٦، الكشاف ١٧٣/٤، الرازي ٩٥/١٦، المحرر الوجيز ٤١٦/٥/ الظلال ٣٧٨٩/٦، ٣٧٩١.

(٣)الذاريات ٦/١.

النازعات والمرسلات كذلك[1] وعلى هذا النحو أيضاً جاءت سورة العاديات على وجازتها[2] {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُور * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُور * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ*}.

فكأن التعبير باسم الفاعل في تلك المواضع جميعاً إنما هو بمثابة مفتاح للتعقل والتدبر لتلك المقابلة بين المتغير المدلول عليه باسم الفاعل، والثابت المدلول عليه باليوم الآخر، ليدرك المرء أن نهاية هذا التقلب في الكون، ونهاية تلك الحركة وذاك التجدد الدائم إنما هو في ذلك اليوم الآخر ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ }[3] ومن ثم فقد انتقلت الآيات بعد ذلك إلى تصوير تلك النهاية الثابتة بتوظيف صيغة اسم الفاعل كذلك لإحداث تلك المقابلة بين المتغير والثابت، وعلى هذا النحو جاءت الآيات التالية في سورة النازعات.

ويلاحظ اختلاف النسق في التذييل في فواصل تلك

---

(١)انظر الطبري١١٦/٢٧، الكشاف ٢٦/٤ -٢٧، المحرر الوجيز ١٧١/٥ -١٧٢، الدر المصون ١٨٣/٦ -١٨٤ الظلال ٣٣٧٤/٦ -٣٣٧٥.

(٢)الوصف باسم الفاعل فيها هو على أرجح الأقوال للخيل العادية في الجهاد في سبيل الله تعالى (انظر على سبيل المثال الطبري ١٧٦/٣٠، الكشاف ٢٢٨/٤).

(٣)القيامة:١٢.

الآيات الأربعة الأولى عن الآية الخامسة الأخيرة من هذا المطلع، حيث ذيلت الآيات الأربع الأولى بالمفعول المطلق، وذلك بالمصادر المشتقة من فعلها كما في الآيات الثانية والثالثة والرابعة، أو مصدر نائب كما في الآية الأولى، أما في الآية الخامسة فالتذييل بالمفعول الذي لا يؤكد الفعل دبر الذي دل عليه اسم الفاعل، وذلك لأن التدبير المنسوب إلى المخلوقات سواء كانت الملائكة أم غيرها من الكائنات لا يحتاج إلى توكيد في نسبته إلى تلك المخلوقات وذلك لأن نسبة الفعل والتدبير إلى هذه الكائنات إنما هي نسبة الفعل والكسب ، أما التدبير الحقيقي فإنما هو لله وحده ، المتصرف في الكون وحده ، ولذا لم يناسب توكيد التدبير في حق المخلوق فعدل عنه القرآن مخالفا نسق الآيات لذلك.

رابعاً: تحقق التطابق على المستوي النحوي:

جاء استخدام الواو للقسم في الآيات الثلاثة الأولى وعطف على المقسوم به في الآية الثالثة بالفاء في الآيتين الرابعة والخامسة للدلالة على الترتيب والتدرج والترقي بين هذه الأحداث، فالسبح أولا ، يليه السبق، ثم التدبير للأمر.

وجاء القسم في هذا الأسلوب الخبري لتوكيد البعث لمنكريه والمكذبين به ، وحذف جواب القسم إما إيجازاً لدلالة السياق عليه أي (لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة)[1] أو ليذهب فيه العقل والقلب كل مذهب فيكون أبلغ في باب الزجر والتخويف.

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٠ – ١٨١.

كذلك فقد جاءت المزاوجة بين هذه الجمل القصيرة ذات التركيب البسيط الموجز لتحدث هذا الإيقاع السريع الدال على سرعة زوال هذه الأحداث كلها ، وسرعة النقلة إلى دار القرار.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾

(النازعات:٦-١٤)

الفكرة الثانية

تصوير مشاهد البعث والقيامة وما فيها من أهوال وأوجال

{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ*}.

هذه الفكرة تشتمل عليها الآيات من الآية السادسة إلى الآية الرابعة عشرة، وهي تصور بعض مشاهد القيامة وأهوالها فهي تذكر ارتجاف الأرض والسموات، واضطراب هذا الكون وانفراط عقده لدى هاتين النفختين العظيمتين للبعث (الراجفة والرادفة)، وتصور حال الكافرين المنكرين للبعث في ذلك اليوم عند معاينة ما كذبوا بوقوعه، فيتملكهم الخوف ويسيطر عليهم الذهول، ويتيقنون من خسارتهم و بوارهم، وتوظف الآيات جميع وسائل الصياغة التعبيرية لبيان هذا الغرض . وتحقيق المطابقة بين الصياغة والمعاني.

أولاً: تحقق المطابقة على المستوى المعجمي:

لما كان الغرض في هذا المقطع هو بيان أهوال

القيامة، وما يحدث فيها من اضطراب شديد لهذا الكون المتسق المحكم فمن ثم جاءت الألفاظ معبرة عن هذا المعنى دالة عليه تمام الدلالة ويؤيد ذلك الاستعمال المعجمي لهذه الألفاظ فالراجفة[1] سواء كانت النفخة الأولى، أو كانت الأرض على اختلاف المفسرين في ذلك إنما تدل على معنى الحركة الشديدة والاضطراب والزلزلة.

وكذلك الرادفة سواء دلت على النفخة الثانية، أو دلت على السماء على اختلاف المفسرين في ذلك[2] فهي إنما تدل على سرعة الوقوع وتتابعه ، فالنفخة الثانية تتبع الأولى في إثرها سريعاً وكذلك السماء في ارتجافها واضطرابها تتبع الأرض وتلحق بها وهذا ما يدل عليه الاستعمال المعجمي لهذه الكلمة، فالردف (ما

---

(١) الرجفان: الاضطراب الشديد: رجف الشيء يرجف رجفاً ورجوفاً ورجفاناً ورجيفاً وأرجف: خفق واضطرب اضطراباً شديداً. ورجف الشيء كرجفان البعير تحت الرحل، وكما ترجف الشجرة إذا رجفتها الريح، وكما ترجف السن إذا نغض أصلها. والرجفة: الزلزلة. ورجفت الأرض ترجف رجفاً: اضطربت. ويقال: إنهم رجف بهم الجبل فماتوا. ورجف القلب: اضطرب من الجزع. والراجف: الحمى المحركة. ورجف القوم إذا تهيؤوا للحرب. والراجفة الأرض ترجف تتحرك حركة شديدة. وهي الزلزلة. والرجفة في القرآن كل عذاب أخذ قوماً، فهي رجفة وصيحة وصاعقة. والرعد يرجف رجفاً ورجيفاً: وذلك تردد هدهدته في السحاب. وأرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن. والإرجاف واحد أراجيف الأخبار؛ واسترجف رأسه: حركه. والرجاف: البحر، سمي به لاضطرابه وتحرك أمواجه، اسم له كالقذاف؛ وقيل: الرجاف يوم القيامة، والرجفان: الإسراع. اللسان: رجف.

(٢)انظر أقوال المفسرين في تفسير ابن جرير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، والكشاف، والتحرير والتنوير.

تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه)[1].

وكذلك (واجفة) إنما تدل على الحركة السريعة، وشدة الاضطراب، فالقلوب في خفقها واضطرابها تحاكي حركة الكون واضطرابه في هذا اليوم العصيب، وهذا ما يدل عليه الاستعمال اللغوي لهذه الكلمة[2].

وعلى حين وصفت القلوب بالوجيف والحركة والاضطراب بما يناسب حركة هذا اليوم واضطرابه وصفت الأبصار بالخشوع، واستعماله المعجمي يدور حول السكون والخمود والذل والانكسار[3] فلا يطرد

---

(١)اللسان: ردف.

(٢)اللسان: وجف: الوجف: سرعة السير. وجف البعير والفرس يجف وجفاً ووجيفاً: أسرع. والوجيف: دون التقريب من السير. وأوجف دابته إذا حثها؛ وناقة ميجاف: كثيرة الوجيف. ووجف الشيء إذا اضطرب. ووجف القلب وجيفاً: خفق وقلب واجف. وقلوب واجفة: شديدة الاضطراب؛ والإيجاف: سرعة السير؛ ويقال: استوجف الحب فؤاده إذا ذهب به. اللسان: وجف.

(٣) خشع يخشع خشوعاً واختشع وتخشع: رمى ببصره نحو الأرض وغضه وخفض صوته. وقوم خشع: متخشعون. وخشع بصره: انكسر، ولا يقال: اختشع. واختشع إذا طأطأ صدره وتواضع، وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن. والخشوع في البدن والصوت والبصر. وكل ساكن خاضع خاشع. والتخشع: نحو التضرع. والخاشع: الراكع في بعض اللغات. والتخشع لله: الإخبات والتذلل. والخشعة: قف غلبت عليه السهولة. والخشعة، مثال الصبرة: أكمة متواضعة. والخاشع من الأرض: الذي تثيره الرياح لسهولته فتمحو آثاره. وبلدة خاشعة أي مغبرة لا منزل بها. وإذا يبست الأرض ولم تمطر قيل: قد خشعت. وجدار خاشع إذا تداعى واستوى مع الأرض. وخشع خراشي صدره: رمى بزاقاً لزجاً. ويقال: خشعت الشمس وخسفت وكسفت بمعنى واحد. وخشعت الكواكب إذا دنت من

الوصف هنا بوصف الأبصار بما يدل على الحركة والاضطراب؛ وذلك لأن حركة العين لا تناسب حال الذليل الخائف الموقن بالعقوبة مع ما يعتريه من شعور بالخزي والعار مما يورثه ذلا وانكسارا يتناسب مع وصف الأبصار بالخشوع.

"**والخشوع حقيقته**: الخضوع والتذلل، وهو هيئة للإنسان، ووصف الأبصار به مجاز في الانخفاض والنظر من طرف خفي من شدة الهلع والخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة قال تعالى﴿**خشَّعاً أبصارهم**﴾[1] في سورة اقتربت الساعة. ومثله قوله تعالى ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ**﴾[2]

وكذلك لفظ الحافرة إنما يدل على أن المرء إنما يعود للطريق التي احتفرها في الدنيا بسعيه خيراً أو شراً[3].

المغيب. اللسان: خشع.

(١) القمر: ٧.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٦٨/٣٠.

(٣)قال الزمخشري في الكشاف: (في الحافرة في الحالة الأولي يعنون الحياة بعد الموت (فإن قلت) ما حقيقة هذه الكلمة؟ (قلت) يقال: رجع فلان في حافرته أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفراً كما قيل حفرت أسنانه حفراً إذا أثر الأكال في أسناخها، والخط المحفور في الصخر، وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أي منسوبة إلى الحفر والرضا، أو كقولهم نهارك صائم، ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حافرته أي إلى طريقته وحالته الأولى قال:

وكذلك لفظ (نخرة) أبلغ من بالية او مترممة لأنه إنما يدل على عظام قد نخر داخلها أي ثقب وتآكل ، والمنخور ما ثقب داخله وتجوف، ولذا يقال للأنف منخر ومنخور(١).

ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي:

نلاحظ تحقق المطابقة على المستوى الصوتي في هذه الآيات من حيث وضوح التلاؤم الشديد بين الأصوات والدلالات الفنية المصاحبة لها، **ومن الأمثلة الدالة على ذلك:**

طبيعة الفاصلة في الآيات التي تبدأ بمد طبيعي قصير مقداره حركتان يمثله المد في صيغة (فاعلة) [راجفة – رادفة- واجفة- خاشعة- حافرة- خاسرة- واحدة- ساهرة]. تحققه هاء السكت لينتهى إلى سكون في أواخر الكلمات السابقة.

والطبيعة الصوتية لهذه الفواصل تحاكى أحداثا تحدث في ذلك اليوم ولكنها سرعان ما تنتهي إلى سكون واستقرار تام، فالرجفة والردفة سرعان ما تنتهي بفناء الكون والقضاء على جميع مظاهر الحركة فيه، والقلوب يستقر أمرها بعد هذا الوجيف والاضطراب

أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

يريد أرجوعاً إلى حافرة، وقيل النقد عند الحافرة، يريدون عند الحالة الأولى، وهى الصفقة، وقرأ أبو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفراً وهى حفرة وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة. الكشاف ١٨١/٤.

(١)اللسان: نخر.

والهول والفزع، والابصار تستقر خاشعة ذليلة، وهكذا نلحظ أن هاء السكت في نهاية هذه الفواصل عموماً قد جاءت متناسبة مع ما ينتهي إليه الأمر في هذا اليوم من السكون والثبات والاستقرار الدائم للأمور، (فريق في الجنة)، (وفريق في السعير)

ومن الأمثلة الدالة على التناسب الصوتي كذلك في هذه الآيات:

*ما نلمحه في الراجفة والواجفة من مناسبة الجيم المجهورة الشديدة للوجفة والهمزة الشديدة، والوجيف والاضطراب.

*كما نلحظ كذلك تناسبا صوتيا في الراجفة والرادفة، من حيث الترتيب الزمني لهما، فالرادفة تأتي بعد الواجفة، وتدل على اقتراب أكثر من الموعد المحتوم، ولذا استخدمت فيها الدال بدلا من الجيم، حيث إن الدال أقرب مخرجا من الجيم وتالية لهما من حيث المخرج.

*نلاحظ كذلك مناسبة حرف الراء في كل من الراجفة والرادفة، بما يشتمل عليه من سمة تكرارية في النطق تتناسب مع الهزة الأرضية الشديدة الحاصلة التي تغربل فيها الأرض، ويتكرر هزها وحركتها إلى أن تخرج أثقالها.

*تكرر الدال في مردودون يحاكى عملية الرد ويتناسب معها.

كلمة (نخرة) بجرسها الصوتي تحكى صوت النخر وتجسده بما يبرز المعنى من الناحية الصوتية ويحضره في السمع ليجتمع على الذهن الاستحضار السمعي والبصري لصورة نخر تلك العظام وتآكلها.

كلمة (زجرة) حروفها كلها مجهورة ذات شدة، ومع ما فيها من أزيز الزاي، وشدة الجيم، وتكرار الراء، مناسبة تمام المناسبة لتلك الصيحة الشديدة التى تحدث في ذلك اليوم فترتاع لهولها القلوب، وترتعد لها الفرائص، وفي ذلك يقول الأستاذ/ سيد قطب: "والزجرة: هي الصيحة. ولكنها تقال هنا بهذا اللفظ العنيف تنسيقا لجو المشهد مع مشاهد السورة جميعا"(١).

ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى الصرفي:

يمتد التعبير باسم الفاعل في هذا المقطع كذلك متلاحماً مع المقطع السابق، ومحققاً نوعا من المقابلة المعنوية بين المقطعين اللذين تجلى فيهما الإعجاز القرآني في توظيف الصيغة التعبيرية الواحدة (اسم الفاعل) دالة على معنيين متضادين متقابلين أولهما الحركة أو الحدوث والتجدد في الدنيا وذلك نظراً إلى معنى الفعلية فيه في المقطع الأول من السورة ، والمعنى الآخر هو الثبوت والقرار في الآخرة الدالة عليه اسمية اسم الفاعل.

وقد سبق بيان ذلك عند الحديث عن المستوى

---

(١) الظلال ٦/٣٨١٣.

الصرفي في المقطع الأول.

وهذه الآيات تزيد ذلك بياناً حيث كرر في فاصلتها اسم الفاعل بدلالة مقابلة لدلالته في المقطع الأول، حيث نلحظ هنا أن دلالة اسم الفاعل تختلف عن الموضع السابق، فالراجفة رجفة واحدة، من إثر نفخة واحدة﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ* وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *﴾(الحاقة)

والرادفة هي النفخة التالية كذلك، وهي واحدة ومن ثم فلا يظهر في دلالة اسم الفاعل هنا في الموضعين معني التجدد، وإنما يظهر فيهما معني الثبوت وذلك كأمثاله في (**الحاقة والواقعة والطامة والصاخة والقارعة**) وأشباهه.

وكذلك واجفة، وخاشعة، فاضطراب القلوب، وخشوع الأبصار لا ينقطع حتى يتصور فيه معنى التجدد وكذلك الحافرة والناخرة والخاسرة، لا يتصور في ذلك معنى التجدد، وإنما الأغلب في ذلك كله معنى النسبة أي ذات حفر، وذات نخر، وذات خسار، وذات وجيف، وخشوع، ورجف، وردف.

وهذا المعنى أي النسبة هو أحد المعاني التي يدل عليها اسم الفاعل مع ما في تلك النسبة من ثبوت الصفة لصاحبها الموصوف بها كما في قولهم (**لابن وتامر**)(١)

---

(١)انظر الرازي ١٧٤/١٦، وانظر الخصائص لابن جني ١٥٢/١.

ومن ثم فإن الدلالة الرئيسية لاسم الفاعل في هذا المقطع إنما هى الدلالة على ثبوت نسبة تلك الأوصاف لليوم الآخر ثبوتاً مؤكداً، يفيده التعبير بصيغة اسم الفاعل المكررة. ومن ثم نستطيع أن نقف على الدور الفني الذي تقوم به صيغة اسم الفاعل في تلك الصورة حيث تم توظيفها على الذي أحسن، لكي تدل تلك الصيغة الواحدة بما جمعت من دلالات التجدد والثبوت على تلك المقابلة المقصودة بين الحياة الدنيا بما تشتمل عليه من تقلب وتغير وتجدد من الحياة والموت، ودوران الفلك، وسبح الخيل وسبقها، ونزع القسي وغير ذلك، وبين مظاهر اليوم الآخر بما فيه من الصفات الثابتة القاطعة لتلك الحركة، والمفنية لها لتنقل العباد إلى دار خلود بلا موت، سواء لأصحاب الجنة أو أصحاب الجحيم.

وثمة لفتة أخرى لا يسعنا أن نفوتها في هذا الموضع، ألا وهي، دور الصيغة في تغيير الإيقاع السريع الثابت في هذا المشهد كله مشهد اليوم الآخر[1] وذلك حتى يؤدى ذلك الإيقاع الصرفي أو الصيغي دوره كذلك في عقد تلك المقابلة بين تقلب الدنيا، وثبات الآخرة.

وإذا كان للإيقاع هذا الدور الفني في هذا الموضع فلا جرم قد قصدت إليه القراءة القرآنية قصدا، فعدلت إلى صيغة اسم الفاعل تحقيقاً لذلك الإيقاع

(١) انظر الظلال ٣٨١٣/٦.

الموثر، وذلك كما في (الحافرة) فهي وإن كانت بمعنى ذات حفر، فإنها بمعنى اسم المفعول أي محفورة لأن ذا الصفة قد يكون فاعلاً وقد يكون مفعولاً كما سبق نقله عن ابن جني مراراً ومن ثم فقد عدل فيها عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل[1].

وكذلك قراءة ﴿أئذا كنا عظاماً نخرة﴾ وهي قراءة عامة قراء الكوفة[2] "وهي قراءة حمزة وعاصم في رواية أبي بكر وعمر ابن الخطاب وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وابن الزبير ومسروق ومجاهد وجماعة سواهم"[3] فقد عدل في هذه القراءة عن اسم الفاعل الذي توالت عليه فواصل السورة في هذا الموضع؛ والغرض من ذلك العدول-والله أعلم – هو التعبير عن مدى استبعاد الكفار للبعث، وتعجبهم من إحياء الله تعالى لعظامهم بعد أن تتناهى في البلى والهلاك.

ولذلك قال ابن جرير -رحمه الله- بعد أن عزا القراءتين إلى أصحابهما: "وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا "نخرة" بغير ألف بمعنى: بالية غير أن رءوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف فأعجب إلى ذلك أن تلحق ناخرة بها ليتفق هو وسائر رءوس الآيات

(١) انظر الكشاف ١٨١/٤والألوسي ٣٠صـ٢٧ والدر المصون ٤٧٢/٦.
(٢) الطبري ٢٣/٣٠.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٣٢/٥.

لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليّ حذف الألف منها."[1]

من الظواهر الأسلوبية في هذه الآيات كذلك تكرار صيغة المصدر (غرقاً – نشطاً – سبحاً – سبقاً)، ويأتي الاختيار الأسلوبي هنا بين ذكر تلك الصيغة وحذفها؛ أي إن الاختيار هنا إنما هو بين دلالة الذكر ودلالة الحذف لتلك الصيغ.

والذي نرجحه هنا هو دلالة الذكر؛ وذلك لما أفادته تلك الصيغ من توكيد وبيان للحقيقة والماهية يقتضيه السياق والمقام؛ فالسياق سياق قسم بتلك المخلوقات العظيمة من الملائكة – على الراجح من أقوال المفسرين – أو غيرها، وهو قسم على بعث الله تعالى للناس ولهؤلاء الكفار المعاندين من كفار مكة[2] فناسب ذلك أن يقسم سبحانه على ذلك بتلك المخلوقات العظيمة ذات الأفعال العجيبة الدالة على كمال قدرته سبحانه على تدبير أمر الكون كله وعلى إماتة العباد وإحيائهم؛ ومن ثم ناسب ذلك توكيد تلك الأفعال جميعاً بتلك المصادر الدالة على أن تلك الأفعال إنما يؤتى بها على الغاية من الكمال والإتقان فيها، والمبالغة في

(١) تفسير الطبري: (٢٣/٣٠). وانظر الألوسي ٢٨/٣٠.

(٢) وهذا على أرجح الأقوال أن جواب القسم محذوف، وتقديره (لتبعثن يا كفار مكة) ويؤيده سياق السورة وذكر الطامة الكبرى والحشر في آخرها، انظر تفسير الجلالين صـ٧٨٩ ط دار المعرفة – بيروت.

فعلها؛ فالنازعات تغرق في النزع غرقاً شديداً، فلا تسل أي نزع هو، وأي غرق هو في شدته.

والناشطات إنما تنشط أرواح المؤمنين وتسلها برفق وإتقان وسرعة شديدة فلا تسل كذلك عن خفة هذا النشط وعن سرعته.

والسابحات والسابقات هي الملائكة – على أرجح الأقوال- تسبح في الفضاء وتتسابق في تنفيذ ما أمرت به فلا تسل كذلك عن حقيقة سبحها وحقيقة سبقها فقد بلغ الغاية في ذلك كله.

ومما يلفت النظر كذلك في توظيف الصيغ في تلك الآيات استخدام صيغة المفرد في قوله تعالى ﴿**فالمدبرات أمرا**﴾ حيث اختارت السورة الكريمة صيغة المفرد (أمرا) على (أمورا) والملائكة إنما تدبر في الحقيقة أموراً كثيرة لا أمراً واحداً.

ولعل النكتة في ذلك – والله تعالى أعلم – أن توحيد المأمور به إنما جاء مفرداً للدلالة على وحدة الآمر، وهو الله سبحانه، ففيها من الدلالة على وحدانيته سبحانه وتفرده بالأمر والنهي ما فيه.

أو يكون ذلك دلالة على وحدة المأمورين في أداء أمره سبحانه وتنفيذه، فهم جميعاً في ذلك يد واحدة، مجتمعون على طاعته سبحانه ﴿**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾[1]

ويمكن حمل ذلك على مدى قوتهم وسرعتهم في

(١) البقرة: ١١٦، الروم:٢٦.

الاداء؛ فتلك الأمور جميعاً في حقهم كأنها أمر واحد لا يلهيهم أمر عن أمر؛ إذ أقدرهم الله على جميع ما كلفهم به ويسرهم له.

كما يمكن النظر إليه باعتبار أن تلك الأمور وإن كثرت فهي جميعاً في حقه تعالى كأمر واحد؛ وذلك كقوله تعالى ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.(١)

ومن ثم نتبين قيمة هذا الإفراد وفضله على الجمع وما يلقيه من ظلال وإيحاءات دلالية في هذا الموضع.

كما يلفتنا كذلك استخدام النظم القرآني لصيغة المرة في قوله تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ}حيث اختار صيغة المرة زجرة، فضلاً عن توكيدها بلفظ (واحدة) مع دلالتها في نفسها على الوحدة؛ وذلك مبالغة منه سبحانه في الرد على هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث، وبيان أن الأمر جد هين عليه سبحانه فما هي إلا نفخة واحدة من الملك الموكل بالنفخ في الصور فإذا الخلائق جميعاً قد بعثوا وخرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ليعرضوا على ربهم.

وهكذا نجد أن الصيغ المستخدمة في كل آية من آيات هذا النظم الشريف قد وظفت توظيفاً رائعاً لخدمة

---

(١)لقمان:٢٨.

الغرض الذي سيقت الآيات لأجله بطريقة تميز الأسلوب القرآني عن غيره من أساليب الكلام بتلك البراعة الفائقة في التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة؛ مما يدلنا على أن هذا الجانب من الإعجاز القرآني لا يزال بحاجة إلى العديد من الدراسات التي تكشف عن أسراره وتستخرج كنوزه العامرة.

ومن مظاهر التطابق الصرفي في الآيات أيضاً، ذلك التطابق البديع في توظيف صيغ الأفعال، ففي قوله تعالى: ﴿يَقُولونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً*﴾.

حكى مقالهم بصيغة المضارع لإفادة أنهم مستمرون عليه وأنه متجدد فيهم لا يرعوون عنه.

للإشعار بما في المضارع من استحضار حالتهم بتكرير هذا القول ليكون ذلك كناية عن التعجب من قولهم هذا كقوله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لوطٍ *} (١).

وقد علم السامع أنهم ما كرروا هذا القول إلا وقد قالوه فيما مضى.

وهذه المقالة صادرة منهم وهم في الدنيا فليس ضمير "يقولون" بعائد إلى "قلوب" من قوله تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ (٢).

وفي قوله تعالى﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ *﴾

---

(١) هود: ٧٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٦٩/٣٠

"عبر عن قولهم هذا بصيغة الماضي دون المضارع على عكس {يقولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ *}" لأن هذه المقالة قالوها استهزاء فليست مما يتكرر منهم بخلاف قولهم ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ فإنه حجة ناهضة في زعمهم، فهذا مما يتكرر منهم في كل مقام. وبذلك لم يكن المقصود التعجيب من قولهم هذا لأن التعجيب يقتضي الإنكار، وكون كرَّتهم، أي عودتهم إلى الحياة عودة خاسرة أمر محقق لا ينكر لأنهم يعودون إلى الحياة خاسرين لا محالة."(١)

رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي:
من الأمثلة الدالة على ذلك:

*قصر الجمل والتراكيب في هذه الآيات لأجل إحداث ذلك الإيقاع السريع الذي يتناسب مع سرعة أحداث ذلك اليوم وتواليها تباعا.

*تقديم الظرف (يوم) في قوله (يوم ترجف الراجفة) لأهميته وللفت الأنظار إليه، ولأنه محل التخويف والإنذار والترهيب.

*كذلك تقديم الظرف (يومئذ) واعتراضه بين المبتدأ والخبر في قوله تعالى: (قلوب يومئذ واجفة) وذلك للغرض السابق نفسه.

قال صاحب التحرير: "وقدم الظرف على

(١) السابق: ٣٠/٧١.

متعلقه لان ذلك الظرف هو الاهم في جواب القسم لانه المقصود إثبات وقوعه، فتقديم الظرف للاهتمام به والعناية به فإنه لما أكد الكلام بالقسم شمل التأكيد متعلقات الخبر التي منها ذلك الظرف، والتأكيد اهتمام، ثم أكد ذلك الظرف في الأثناء بقوله "يومئذ" الذي هو يوم ترجف الراجفة فحصلت عناية عظيمة بهذا الخبر"[١].

كذلك فقد أسند الرجف إلى الصيحة التي ترجف الأرض بسببها فجعلت هي الراجفة على سبيل المبالغة، وليس المقصود أنها تحدث الرجفة في الأرض؛ لأن "ظاهر كلام أهل اللغة أنه فعل قاصر ولم أر من قال: إنه يستعمل متعديا، فلذلك يجوز أن يكون إسناد "ترجف" إلى "الراجفة" حقيقيا، فالمراد بـ "الراجفة": الأرض لأنها تضطرب وتهتز بالزلازل التي تحصل عند فناء العالم الدنيوي والمصير إلى العالم الأخروي قال تعالى {**يوم ترجف الأرض والجبال**}[٢] وقال {**إذا رجت الأرض رجا**}[٣] وتأنيث "الراجفة" لأنها الأرض، وحينئذ فمعنى {**تتبعها الرادفة**} أن رجفة أخرى تتبع الرجفة السابقة لأن صفة "الراجفة" تقتضي وقوع رجفة، فالرادفة رجفة ثانية تتبع الرجفة الأولى.

---

(١)الطاهر بن عاشور / التحرير والتنوير ج٣٠ ص٦٦.

(٢) المزمل:١٤.

(٣) الواقعة:٤.

ويجوز أن يكون إسناد "ترجف" إلى "الراجفة" مجازا عقليا، أطلق "الراجفة" على سبب الرجف.

فالمراد بـ "الراجفة": الصيحة والزلزلة التي ترجف الأرض بسببها جعلت هي الراجفة مبالغة كقولهم: عيشة راضية، وهذا هو المناسب لقوله {**تتبعها الرادفة**} أي تتبع تلك الراجفة، أي مسببة الرجف رادفة" أي واقعة بعدها.

ويجوز أن يكون الرجف مستعارا لشدة الصوت فشبه الصوت الشديد بالرجف وهو التزلزل.

وتأنيث "الراجفة" على هذا لتأويلها بالواقعة أو الحادثة"(١).

كذلك عبر بالجملة الحالية في قوله تعالى: {**تتبعها الرادفة**} للإشعار بتتابع الصيحتين والرجفتين واتصالهما في حال واحد، يوقع الهول في القلوب، ويشعرها بخطورة الأمر.

وفي قوله تعالى: {**قلوب يومئذ واجفة**} جاء "تنكير (قلوب) للتكثير، أي قلوب كثيرة ولذلك وقع مبتدأ وهو نكرة لإرادة النوعية.

والمراد: قلوب المشركين الذين كانوا يجحدون البعث فإنهم إذا قاموا فعلموا أن ما وعدهم الرسول - صلى الله عليه وسلم- به حق توقعوا ما كان يحذرهم

(١) الطاهر بن عاشور /التحرير والتنوير ٦٧/٣٠. وانظر الألوسي ٢٦/٣٠.

منه من عقاب إنكار البعث والشرك وغير ذلك من أحوالهم.

فأما قلوب المؤمنين فإن فيها اطمئنانا متفاوتا بحسب تفاوتهم في التقوى.

والخوف يومئذ وإن كان لا يخلو منه أحد إلا أن أشده خوف الذين يوقنون بسوء المصير ويعلمون أنهم كانوا ضالين في الحياة الدنيا... وجملة "أبصارها خاشعة" خبر ثان عن "قلوب" وقد زاد المراد من الوجيف بيانا قوله "أبصارها خاشعة"، أي: أبصار أصحاب القلوب... وإضافة الأبصار إلى ضمير القلوب، وإن كان لأدنى ملابسة؛ لأن الأبصار لأصحاب القلوب، وكلاهما من جوارح الأجساد"[1]؛ فإن هذه الإضافة تضفي على تلك القلوب تشخيصا يبرزها في مخيلة القارئ.

وقوله تعالى: {**يقولون أإنا لمردودون في الحافرة أإذا كنا عظاماً نخرة**} "استئناف إما ابتدائي بعد جملة القسم وجوابه، لإفادة أن هؤلاء هم الذين سيكونون أصحاب القلوب الواجفة والأبصار الخاشعة يوم ترجف الراجفة.

---

(١)السابق ٣٠/٦٧-٦٨. بتصرف يسير.

وإما استئناف بياني لأن القسم وما بعده من الوعيد يثير سؤالاً في نفس السامع عن الداعي لهذا القسم فأجيب بـ "يقولون أئنا لمردودون في الحافرة" أي منكرون البعث، ولذلك سلك في حكاية هذا القول أسلوب الغيبة شأن المتحدث عن غير حاضر...وجعل الاستفهام التعجيبي داخلاً على جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) وبلام الابتداء وتلك مؤكدات ثلاثة مقوية للخبر لإفادة أنهم أتوا بما يفيد التعجب من الخبر ومن شدة يقين المسلمين به، فهم يتعجبون من تصديق هذا الخبر فضلاً عن تحقيقه والإيقان به"[١].

وكذلك في قوله تعالى: {**أإذا كنا عظاما نخرة**} "بهمزتين إحداهما مفتوحة همزة الاستفهام والثانية مكسورة هي همزة "إذا".

وهذا الاستفهام إنكاري مؤكد للاستفهام الأول للدلالة على أن هذه الحالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت، فهما إنكاران لإظهار شدة إحالته".[٢]

ومما تجدر الإشارة إليه هنا كذلك رعاية الآية لحال المتكلمين في قولهم "أإنا لمردودون ..إلخ" حيث جاءت الآية بهذا التركيب الأسلوبي رعاية لحال هؤلاء

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٦٨-٦٩ بتصرف.

(٢) السابق: ٣٠/٧٠-٧١.

المتكلمين بذلك معبرة تمام التعبير عن تعجبهم وتهكمهم واستبعادهم لما أوعدوا به. وهذا فن عظيم من فنون البلاغة قلما يفطن البيانيون لبيانه[1].

وفي قوله تعالى: {**قالوا تلك إذا كرة خاسرة**}:

أعيد فعل القول للدلالة على أن قولهم هذا في غرض آخر غير غرض القول الأول؛ فالقول الأول قصدهم منه الإنكار والإبطال، والقول الثاني قصدوا منه الاستهزاء والتندر لأنهم لا يؤمنون بتلك الكرة، فوصفوها بكونها خاسرة من باب الفرض والتقدير، أي لو حصلت لكانت خاسرة.

وقدم اسم الإشارة (تلك) على (إذن) وهو حرف الجواب للعناية بالإشارة، فهي تشير إلى الرد والبعث الذي ينكرون ويستهزئون به، فلذلك قدموا الإشارة إليه إمعانا في السخرية به.

وقوله تعالى: {**فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة**} تعلق بمحذوف تقديره: "لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة، يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل، فإنها سهلة هينة في قدرته، ما هي إلا صيحة واحدة، يريد النفخة الثانية، فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً في

(١) انظر كتابي: البلاغة بين التنظير والتطبيق : (رعاية حال المتكلم في سورة البقرة) مطبعة البيان سنة ٢٠٠٢.

جوفها"[1].

والفاء في (فإنما): فصيحة للتفريع على ما يفيده قولهم {**أإنا لمردودون في الحافرة إذا كنا عظاما نخرة**} من إحالتهم الحياة بعد البلى والفناء.

فتقدير الكلام: لا عجب في ذلك فما هي إلا زجرة واحدة فإذا أنتم حاضرون في الحشر.

وضمير (هي) ضمير القصة وهو ضمير الشأن. واختير الضمير المؤنث ليحسن عوده إلى زجرة. وهذا من أحسن استعمالات ضمير الشأن. والقصر حقيقي مراد منه تأكيد الخبر بتنزيل السامع منزلة من يعتقد أن زجرة واحدة غير كافية في إحيائهم.

وفاء {فإذا هم بالساهرة} للتفريع على جملة {**إنما هي زجرة واحدة**}. و(إذا) للمفاجأة، أي الحصول دون تأخير فحصل تأكيد معنى التفريع الذي أفادته الفاء وذلك يفيد عدم الترتيب بين الزجرة والحصول في الساهرة".

والزجرة: المرة من الزجر، "ووصفت الزجرة بواحدة تأكيدا لما في صيغة المرة من معنى الوحدة لئلا يتوهم أن إفراده للنوعية، وهذه الزجرة هي النفخة الثانية التي في قوله تعالى {**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ***}[2] فهي ثانية

(١) الكشاف ١٨١/٤.

(٢) الزمر: ٦٨.

للتي قبلها وهي الرادفة التي تقدم ذكرها انفا وإنما أريد بكونها واحدة أنها لا تتبع بثانية لها، وقد وصفت بواحدة في صورة الحاقة بهذا الاعتبار".[١]

"والإتيان بـ (إذا) الفجائية في قوله تعالى {**فإذا هم بالساهرة**} للدلالة على سرعة حضورهم بهذا المكان عقب البعث.

وعطفها بالفاء لتحقيق ذلك المعنى الذي أفادته (إذا) لأن الجمع بين المفاجأة والتفريع أشد ما يعبر به عن السرعة مع إيجاز اللفظ.

والمعنى: أن الله يأمر بأمر التكوين بخلق أجساد تحل فيها الأرواح التي كانت في الدنيا فتحضر في موقف الحشر للحساب بسرعة".[٢]

(١) التحرير والتنوير / ٣٠/٧٢-٧٣ بتصرف يسير.

(٢) انظر السابق. وانظر روح المعاني للألوسي ٣٠/٢٨.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى* اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى* وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى* فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى* فَكَذَّبَ وَعَصَى* ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى* فَحَشَرَ فَنَادَى* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾

(النازعات:١٥-٢٦)

الفكرة الثالثة
بيان جزاء المكذبين بالبعث من خلال قصة فرعون مع موسى عليه السلام والاعتبار بحالهم ومآلهم

تأتي هذه الفكرة بعد توعد الله تعالى هؤلاء المشركين بالبعث، وتذكيرهم به وتخويفهم إياه، وعرض صوره ومشاهده وأهواله مما يوقع الخوف والفزع في قلوبهم، فلم يفجأهم الحق سبحانه بمناقشة ما ينكرون من أمر البعث، والبرهنة عليه وبيان أدلة ثبوته، بل عمد إلى تهيئة قلوبهم أولا، وترهيبهم من أهوال ذلك اليوم وبيان عظمته وخطورته حتى يحد من غطرستهم وإعراضهم، وحتى يكون ذلك أدعى للاهتمام بالأمر وأخذه مأخذ الجد.

كذلك فقد سلك القرآن بهم في الآيات التالية مسلكا آخر في تهيئة قلوبهم لقبول الحق وسماع أدلة البعث، وهذا الأمر هو ترهيبهم ببيان حال المكذبين قبلهم لعلهم يعتبرون بذلك إن كانوا من أهل الخشية والنظر والقياس والاعتبار فيقيسون حالهم على حال أمثالهم فيحدث لهم من ذلك عظة وعبرة (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى).

ولهذا يرى الشيخ الطاهر بن عاشور أن هذه

الآيات اعتراض بين جملة {**فإنما هي زجرة واحدة**} وبين جملة {**أأنتم أشد خلقا**} الذي هو الحجة على إثبات البعث ثم الإنذار بما بعده دعت إلى استطراده مناسبة التهديد لمنكري ما أخبرهم به الرسول

من البعث لتماثل حال المشركين في طغيانهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بحال فرعون وقومه وتماثل حال الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه بحال موسى عليه السلام مع فرعون ليحصل من ذكر قصة موسى تسلية للرسول

وموعظة للمشركين وأئمتهم مثل أبي جهل وأمية بن خلف وأضرابهما لقوله في آخرها {**إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**}.(١)

أولاً: تحقق المطابقة على المستوى المعجمي:

أتاك: عبر بلفظ الإتيان بدلاً من البلوغ والحصول تشبيها للمعقول بالمحسوس، كأن الحديث يأتي ويسعى إليه على سبيل التشخيص للحديث على الاستعارة المكنية(٢)، وذلك نحو قول النابغة:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتي.....

وقول أبي نواس:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٧٣.

(٢) ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن الآية من قبيل الاستعارة التصريحية على أن يكون المعنى (هل حصل لك العلم) فعبر بالإتيان بدلاً من الحصول على سبيل التصريحية، وفيه من التكلف ما لا يخفي، ومن ثم فالمكنية أكثر مناسبة.

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

حديث: عبر بالحديث للدلالة على ما فيه من الحداثة والجدة والطرافة للسامع فالحديث ضد القديم، فهو بيان لخبر جديد من أحوال موسى عليه السلام لم يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من قبل فكأنه قد حدث الساعة ولذا فهو حديث. وفائدة ذلك تهيئة المخاطب لاستحضار الحال كأنه يعاينه في زمانه ووقته.

ناداه: يدل على أن هذا الأمر كان على غفلة من موسى عنه، فهو اصطفاء من الله واجتباء لموسى لم يدر بخلده، وإن كان الله قد جعله أهلا له.

طغى: الطغيان إفراط ومجاوزة للحد، ولذا كان هذا اللفظ أنسب من غيره لحال فرعون الذي جاوز حد العبودية إلى إدعاء الألوهية حيث قال {**ما علمت لكم من إله غيري**}[1] ثم تجاوز أكثر من ذلك فادعى الربوبية العليا في هذه السورة حيث قال: {**أنا ربكم الأعلى**}.

"تزكى": التزكية: تطهير وإصلاح وتنمية، تطهير للقلب من أرجاس الجاهلية وأدناسها، وإصلاح لفساده، وتنمية لجوانب الخير فيه، وبهذا المعنى وردت الآيات:

{**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم**

(١)القصص: ٣٨.

بها}[1] فاقترنت بمعنى التطهير.

وكذلك قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا *﴾[2]

فدلت على تطهير النفس لأنها في مقابلة تدسيتها.

وقال تعالى: {فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى}[3] أي لا تحكموا بزكاتها وصلاحها وتقواها فتعتقدون أن لكم فضلا على عباد الله تعالى، فهو أعلم بأهل الفضل والتقى، فاقترنت هنا بمعنى صلاح النفس واستقامتها.

وكذلك قوله: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً* ولكن الله يزكى من يشاء}[4] وردت بمعنى الإصلاح والتطهر بترك الفواحش والمعاصي، وسياق سورة النور دال عليه.

ويقال: زكا الزرع إذا نما وكبر، وكذلك قوله تعالى: **{وما يدريك لعله يزكى}**[5] أي يزداد إيمانا، فقد كان ابن أم مكتوم مؤمنا، وجاء النبي ﷺ يريد أن يزداد

---

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) الشمس: ٩-١٠.

(٣) النجم:٣٢.

(٤) النور:٢١.

(٥) عبس: ٣.

علما وإيمانا..

والتزكية بهذا المعنى أمر لابد منه حتى تتهيأ القلوب للإيمان بالله تعالى، وتحمل أمانة التكليف بالعبودية، ولذا جاءت هذه الكلمة بهذه الدلالات في هذا الموضع في ترتيبها الرباني الذي يحدد معالم الدعوة إلى الله تعالى حيث تبدأ أولا بتهيئة نفس المدعو وقلبه ودعوته إلى تزكية نفسه أولاً بتطهيرها من آثامها ورجسها، ومحاولة إصلاحها بتحليتها بالفضائل والكمالات، وتنمية ما فيها من خير وصلاح.

ولذا فقد التزم القرآن هذا الترتيب في جميع الآيات التي تحدد عمل الرسل في دعوتهم للناس(١).

---

(١) قال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ *} [البقرة: ١٥١-١٥٢] وقوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [آل عمران:١٦٤] وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [الجمعة:٢] فهذه ثلاثة مواضع في كتاب الله تعالى لا رابع لها، وقد جاءت كلها على نسق رباني واحد، وهذا النسق هو ترتيب عمل الرسول كالآتي:

١- تلاوة الآيات.

٢- التزكية.

٣- التعليم.

وتكرار الآيات الثلاثة بهذا النسق والترتيب المتحد يدل على أن إبراهيم الخليل عليه السلام قد فاته بعلمه البشري المحدود الترتيب الصحيح للمنهج الدعوي في عمل الرسول الذي دعا ببعثته.

وتأتي هذه الآية التي تشتمل على دعاء إبراهيم عليه السلام مخالفة في ترتيبها النسق القرآني في الآيات الثلاثة الأخرى التي تحدثت في هذا الصدد بذاته؛ وذلك مراعاة لحال المتكلم، معبرة عن بشريته وعلمه المحدود إزاء علم الله تعالى وحكمته التي لا حد لها ولا نهاية.

وفي هذه الآيات نجد كذلك الالتزام بهذا الترتيب الرباني وهو سبق التزكية لعملية الهداية.

وأهديك: والهداية تأتي بمعنى البيان والإرشاد، إن كانت من العبد لمثله، فإن كانت من الله جاز فيها معنى آخر وهو خلق الاستجابة والهدى في قلب العبد.

والهداية هنا هي من موسى عليه السلام لفرعون فهي إذا بمعنى التدليل والبيان والإرشاد، وهذا التدليل والبيان والإرشاد لا ينفع ولا يأت بثماره إلا إذا سبقه تهيئة القلب بالتطهير والإصلاح؛ ومن ثم تقدمت التزكية في عمل الرسول على الهداية، ثم رتبت الخشية على ذلك، والخشية هي الدليل على استجابة القلب وتأثره وانتفاعه بالموعظة والبيان، ودليل على حصول التزكية والهداية له، ومن ثم نتبين مدى اتساق هذا الترتيب القرآني لتلك الألفاظ حسب دلالتها المعجمية.

"قال الطيبي: وعن الواسطي: أوائل العلم الخشية، ثم الإجلال، ثم التعظيم، ثم الهيبة، ثم الفناء"[1].

فكذب وعصى**: رتب العصيان على التكذيب، لأن التكذيب عمل القلب، والعصيان عمل الجوارح، ولا شك في ترتب الثاني على الأول وكون الجوارح تبعاً للقلب منقادة له، ولذلك قال في سورة القيامة: {**فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى* وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[2] فبدأ بفعل

---

(١) انظر حاشيته على الكشاف مخطوط بدار الكتب المصرية ١٤٥ تفسير.

(٢) القيامة: ٣١، ٣٢.

القلب من التصديق ثم جعل الصلاة تابعا له وبدأ بفعل القلب من التكذيب وجعل التولي تابعا له.

*ثم **أدبر يسعى**: التعبير بالإدبار وهو تولية الدبر أبلغ في الدلالة على الإعراض والإشاحة بوجهه عن الداعى، والجمع بين الإدبار والسعى للدلالة على شدة النفور والإعراض والتولي.

"فقال أنا ربكم الأعلى" فيها دلالة على شدة كبريائه وغطرسته حيث ادعى الربوبية وهى تشمل الخلق والمالكية والسيادة والتدبير والإصلاح، ثم زاد على ذلك فادعى تمام العلو في ذلك، بحيث لا يتوهم أنه يريد وصف نفسه ببعض صفات الربوبية المجازية، من قولهم فلان رب البيت والدار ونحو ذلك أي قيمه ومصلحه، وإنما أراد الربوبية الحقيقية التي لا تكون إلا لخالق الكون فاحترز لدفع التوهم السابق، فوصف نفسه بالأعلى.

فأخذه الله: "حقيقة الأخذ: التناول باليد، ويستعار كثيرا للمقدرة والغلبة كما قال تعالى {**فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر**}(١) وقال {**فأخذهم أخذة رابية**}(٢) والمعنى: فلم يُفلت من عقاب الله".(٣)

والتعبير بالأخذ فيه من جمال التصوير ما ليس

---

(١) القمر:٤٢.

(٢) الحاقة:١٠.

(٣) التحرير والتنوير:٣٠/٨١.

في أهلكه الله ونحوه.

العبرة: "الحالة التي ينتقل الذهن من معرفتها إلى معرفة عاقبتها وعاقبة أمثالها. وهى مشتقة من العبر وهو الانتقال من ضفة واد أو نهر إلى ضفته الأخرى، والمراد بالعبرة هنا الموعظة".(١)

ومناسبة اللفظ هنا من جهة أنه أبلغ في الدلالة على المراد من هذه القصة، وهو حث المشركين على قياس حالهم على حال أمثالهم من المكذبين، فهو قياس يعبر فيه وينتقل من النظير إلى النظير لإلحاق حكم أحدهما بالآخر.

يخشى: تقدم بيان الخشية، وقد اقتصر على ذكر الخشية دون العمل لأنها مفتاحه وسبيله، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل**"(٢).

ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي:

يختلف الإيقاع الصوتي لفواصل هذه الآيات، كما تختلف موسيقاها الداخلية عن الآيات السابقة، حيث نحس أن الإيقاع السريع المتوالي ذي النبرة الصارمة يهدأ بعض الشيء، ويدخله قدر من اللين والتراخي يناسب جو القصص، ويهيئ النفوس لاستقباله.

ويتناغم مع هذا الإيقاع الهادئ المتراخي تلك

---

(١) السابق صـ٨٢.

(٢) صحيح أخرجه الترمذي (٢٤٥٢). والحاكم في المستدرك (٣٠٧/٤، ٣٠٨) وصححه وأقره الذهبي وأورده الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٢٢).

المدود التي نلمحها في (أتاك – حديث – موسى- ناداه- بالواد- طُوى- طغى- تزكى- إلى- تخشى- فأراه- الآية- الكبرى- وعصى- يسعى- فنادى- فقال- الأعلى- نكال- الآخرة- الأولى- يخشى).

***ومن مظاهر التناسب الصوتي في هذه الآيات:** قوله تعالى: {**هل لك إلى أن تزكى**} حيث نلمح أن الفعل (تزكى) أصله (تتزكى) وحذفت إحدى التائين تخفيفا، فكأنه والله أعلم يخاطبه بلفظ رقيق خفيف، ويخفف له أمر التزكية ويهونه عليه بأرق الألفاظ وأيسرها حتى تسهل على نفسه فيكون ذلك أدعى للإقبال عليها.

*ومن التناسب الصوتي البديع في الآيات كذلك قوله تعالى على لسان فرعون {**أنا ربكم الأعلى**} حيث نجد أن القراءة القرآنية لكلمة (أنا) تتميز باختلاس الألف، وقصر حركتها بما يجعلها أقرب إلى الفتحة منها إلى المد.

وأداء الكلمة بهذه الطريقة يوحي بنبرة الجزم المصحوبة بمظاهر الطيش والجنون والفزع من فرعون حيث أصابه الذعر لدعوة موسى، فامتلكه الخوف والفزع.

ثالثاً: تحقيق المطابقة على المستوى الصرفي:

من ذلك التناسب في توظيف الصيغ من حيث الاسمية والفعلية وأنواع كل منهما، فمن ذلك قوله تعالى: {**هل لك إلى أن تزكى**} عبر بالفعلية بدلاً من

الاسمية (هل لك في التزكي) فاختار التعبير بالفعل المضارع للدلالة على الترغيب في إيجاد فعل التزكي منه؛ فدعوة موسى لفرعون هنا بصدد إيجاد هذا الأمر وإحداثه ممن لا يقبل عليه وليس بصدد الثبوت عليه والتزامه فيعبر بالاسمية وكذلك سائر الأفعال المعطوفة عليه (وأهديك- فتخشى).

كذلك الفعل (تزكى) على وزن تفعل وهو يأتي للدلالة على تكلف الشيء ومحاولته كالتصبر والتحلم ونحوه مما يدل على ضرورة الاصطبار على تحمل مشاق هذا الأمر وتكلفه في بدايته.

***في قوله تعالى: {فكذب وعصى ثم أدبر يسعى}** عبر عن السعي بصيغة المضارع وعدل عن الماضي وهو الأصل السياقي الذي دلت عليه الأفعال السابقة، وذلك ليستحضر المتلقي صورة هذا الإعراض والتولي في سعي حثيث فعل طائش أهوج قد جُن جنونه لدعوة الحق -التي تستنزله من كبريائه- من موسى عليه السلام.

***في قوله تعالى: {فقال أنا ربكم الأعلى}** وظفت صيغة أفعل التفضيل للدلالة على مبالغة فرعون في عتوه وكبريائه بادعائه الربوبية العليا.

***في قوله تعالى: {فأخذه الله نكال الآخرة والأولى}** عبر باسم المصدر (نكال) بمعنى التنكيل، كالسلام بمعنى التسليم، فعبر باسم المصدر دون غيره نحو (منكلا) لتصوير أن ما حدث لفرعون هو حقيقة النكال ذاته.

"وانتصب نكال على المفعولية المطلقة لفعل (أخذه) مبين لنوع الأخذ بنوعين منه لأن الأخذ يقع بأحوال كثيرة"[1].

رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي:

الجمل والتراكيب في آيات هذا المقطع أطول من آيات المقطعين السابقين لمناسبة القص والحكاية، وهى تبدأ بأسلوب الاستفهام الذي يراد منه تشويق المخاطب وجذب انتباهه لسماع القصة، قال الزمخشري: "بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه: (هل لك أن تنزل بنا) وأردف الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول، ويستنزله بالمدارة من عتوه، كما أمر بذلك في قوله **{فقولا له قولا لينا}**"[2].

ففي قوله تعالى: {هل لك إلى أن تزكى} أسلوب إنشائي غرضه الحض والترغيب وأصله أن يقال: "هل لك في التزكي" أو "في أن تزكى" فعبر (بإلى) بدلا من (في) ليضمن الكلام معنى (هل لك أن أدعوك إلى كذا) أو (آخذك إلى كذا).

"ولك": "خبر مبتدأ محذوف تقديره: هل لك رغبة في كذا؟ فحذف (رغبة) واكتفى بدلالة حرف (في) عليه، وقالوا: هل لك إلى كذا؟ على تقدير: هل لك ميل؟ فحذف (ميل) لدلالة (إلى) عليه"[3].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٨١. وانظر روح المعاني للألوسي ٣٠/٣٠.

(٢) الكشاف ٤/١٨٢.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/٧٦. وانظر روح المعاني ٣٠/٢٩.

قال الطيبي: "قال ابن جني: متى كان فعل من الأفعال في معنى فعل آخر فكثيرا ما يجرى أحدهما مجرى صاحبه فيعول به في الاستعمال إليه ويحتذى به في تصرفه حذو صاحبه وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه، ألا ترى إلى قوله تعالى {**هل لك إلى أن تزكى**} وأنت إنما تقول: هل لك في كذا؟ لكنه لما دخله معنى: آخذ بك إلى كذا أو أدعوك إليه، قال "هل لك إلى أن تزكى". وقوله تعالى {**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**}[1] لا يقال: رفثت إلى المرأة إنما يقال: رفثت بها، ومعها، لكن لما كان الرفث في معنى الإفضاء عدي بـ (إلى) وهذا من أسد مذاهب العربية لأنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام فيأخذه إليه"أ.هـ[2].

وذهب الزمخشري إلى أن (هل لك في كذا)، (وهل لك إلى كذا)، مترادفان كما تقول: (هل ترغب فيه) و(هل ترغب إليه) وما ذهب إليه غيره من التفريق أولى لأن الترادف التام شبه منعدم في العربية.

ويرجع سر هذا الأسلوب إلى مفاجأة المخاطب بغير ما يتوقع، فالمخاطب حينما يستمع إلى (هل لك) يتوقع أن يكون الأسلوب (هل لك في) فيجده على

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب - حاشية للطيبي على الكشاف - مخطوط بدار الكتب المصرية - ١٤٥ تفسير.

خلاف ما توقعه فيدعوه ذلك إلى تأمل سر المخالفة وموضع النكتة فيه.

كما أن فيه إيجازاً يرجع إلى اشتمال اللفظ على معنيين ويرشح لكل معنى ببعض ألفاظه دون ذكر جميعها، فأصل الكلام هنا: (هل لك رغبة في التزكي) وأن أدعوك إليه أو آخذ بك إليه) ورشح للمعنى الأول بقوله: (هل لك) وبالمعنى الثاني بقوله: (إلى).

وهذا له أمثلة ونظائر كثيرة في القرآن الكريم[1].

وتتميز هذه القصة بما تتميز به القصة القرآنية عموما من شيوع ظاهرة الإيجاز بالحذف، وترك فضول الكلام في السرد والحكي الذي يترك للقارئ تقديره، نحو قوله تعالى: {**إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى** *}.

فالفاء "في قوله" {**فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى**} فصيحة وتفريع على محذوف يقتضيه قوله {**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ**} والتقدير: فذهب فدعاه فكذبه فأراه الآية

---

(١)لنا في ذلك رسالة مصنفة بعنوان: (أسرار التضمين في القرآن الكريم) وهى بصدد الإعداد للطبع. ومن الأمثلة المذكورة فيها: قوله تعالى: "ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا" حيث إن أصل الكلام (ونصرناه على القوم) ولكنه عبر بمن بدلاً من على ليضمن النصر معنى النجاة، أي: (ونجيناه من القوم) هذا حاصل كلام المفسرين، وعلى ما ذهبنا إليه في قيمة التضمين يكون المعنى: (ونجيناه من القوم وكانت هذه النتجية نصرا له) فترجع قيمة التضمين إلى هذا الجمع بين المعنيين ببعض ألفاظهما مع مفاجأة القارئ بغير ما توقع.

الكبرى، وذلك لأن قوله {**إنه طغى**} يؤذن بأنه سيلاقي دعوة موسى بالاحتقار والإنكار لأن الطغيان مظنة ذينك ، فعرض موسى عليه إظهار آية تدل على صدق دعوته لعله يوقن كما قال تعالى: {**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ *}**[1] فتلك هي الآية الكبرى المرادة هنا".

*والجمل في هذه الآيات مترابط بعضها ببعض، مرتبة فيما بينها ترتيبا حكيما حيث أمره بالذهاب إلى فرعون لدعوته، ثم علل ذلك بطغيانه، ثم علمه كيف يتلطف في دعوته، ورتب له خطواتها، فأمره بترغيبه في تزكية نفسه أولا حتى يتهيأ للهداية وقبول الدعوة، فإذا اهتدى إلى الله وعرفه حصلت له الخشية، ويدل على ذلك أنه فرع الخشية على الهداية، وذلك أن الفاء في فتخشى للتفريع "وتفريع فتخشى" على "أهديك" إشارة إلى أن خشية الله لا تكون إلا بالمعرفة قال تعالى{**إنما يخشى الله من عباده العلماء**}[2] أي: العلماء به، أي يخشاه خشية كاملة لا خطأ فيها ولا

(١) الشعراء: ٣٠-٣٢.

(٢) فاطر:٢٨.

تقصير"[1] وتوجز الآيات بحذف ما هو مفهوم من السياق من تكذيبه وإعراضه، ولذا أراه موسى الآية الكبرى لعله يهتدي بطريق رؤية المعجزات إن لم يهتد بالوعظ والإرشاد، ولكنه لا يكون منه إلا التكذيب والعصيان والإدبار وتعطف الآيات تكذيب فرعون وعصيانه وحشره ومناداته وادعاءه الربوبية في أخذ الله تعالى له وتنكيله به بالفاء للدلالة على السرعة وأعقب فعل {**فأراه الآية الكبرى**} بفعل "فكذب" للدلالة على شدة عناده ومكابرته حتى إنه رأى الآية فلم يتردد ولم يتمهل حتى ينظر في الدلالة، بل بادر إلى التكذيب والعصيان".

"وعطف (ثم أدبر يسعى) بـ (ثم) للدلالة على التراخي الرتبي كما هو شأنها في عطف الجمل فأفادت (ثم) أن مضمون الجملة المعطوفة بها أعلى رتبة في الغرض الذي تضمنته الجملة قبلها، أي أنه ارتقى من التكذيب والعصيان إلى ما هو أشد وهو الإدبار والسعي وادعاء الإلهية لنفسه، أي: بعد أن فكر مليا لم يقتنع بالتكذيب والعصيان فخشي أنه إن سكت ربما تروج دعوة موسى بين الناس فأراد الحيطة لدفعها وتحذير

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٧٧.

الناس منها".[1]

فـ"ثم" هنا للتراخي في الرتبة للدلالة على بعد ما انتهى إليه فرعون من التمادي في الضلال والباطل، ومن ثم فهي حرف عطف فصيح يفصح عن كثير من المعاني، حيث إن أصل المعنى: ثم أتى أمراً مهولاً فظيعاً بأن أدبر يسعى وحشر قومه ونادى بإعلان نفسه الرب الأعلى[2].

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا*

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٧٨-٧٩.

(٢) ثم هذه التي تدل على التراخي في الرتبة وبعد المكانة لها نظائر فصيحة كثيرة في القرآن كما في تكررها في سورة المؤمنون (١٥-١٦) (ثم خلقنا النطفة علقة- ثم أنشأناه خلقا آخره- ثم إنكم بعد ذلك لميتون- ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) انظر الطيبي- التبيان في المعاني والبيان بتحقيقي ١/١٤٤-١٤٥.

رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا* وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا* وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا* مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾

﴿ رجب صفر ذو القعدة ربيع أول ربيع أول ﴾

الفكرة الرابعة

عظة المكذبين ببيان دلائل قدرة الله تعالى في الكون وقدرته على بعثهم والامتنان عليهم بنعمه

تشتمل هذه الآيات على الفكرة الرابعة من أفكار هذه السورة، وهى تمثل الفكرة الأساسية أو بيت القصيد فيها، حيث ترد على شبه المشركين المنكرين للبعث وتسلك معهم سبيل الإقناع العقلي والدليل البرهاني على صحة البعث، وذلك بعد أن هيأت السورة قلب المتلقي وعقله لسماع تلك الحجج والاقتناع بها، عن طريق الترهيب بذكر الموت والنزع والنشط، وتصوير مشاهد البعث وأهوال القيامة، ثم الحديث عن جزاء المكذبين بالبعث من الأمم السابقة ممثلاً في قصة فرعون وهو من أعتي المكذبين وأشدهم فما بالك بمن دونه، وهذه المقدمات كلها كفيلة بأن تلقى في القلوب الهول والفزع، فتدع النفوس أوهام الباطل، وتقبل على طلب الحق، والتماس حجته، وحينئذ تتوجه الآيات إلى المتلقي بهذه الأدلة والحجج الناصعة التي ما تأملها منصف إلا اهتدى.

فهي توازن بين خلق الإنسان وخلق السموات ورفع بنائها وتسويتها وتقليب ليلها ونهارها، وبسط الأرض ومدها، وإخراج مائها وكلئها وإرساء جبالها، وجعلها مشتملة على سائر المنافع والخيرات التي يتمتع بها الإنسان والحيوان ويتحقق بها الاستقرار والعمران. فمن تأمل ذلك كله علم أن خلق الإنسان وإعادة

تركيبه وبعثه يوم القيامه ومحاسبته أهون من ذلك كله، وهذا ما تقرره النصوص القرآنية الأخرى. قال ابن كثير: "يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه (أأنتم) أيها الناس (أشد خلقاً أم السماء) يعني بل السماء أشد خلقاً منكم كما قال تعالى: {**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس**}(١) وقال تعالى: {**أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم**}(٢)(٣) كذلك فإن الآيات تستلين قلوب العباد ببيان منة الله عليهم بنعمه التي جعلها متاعاً لهم إلى حين الرجوع إليه ومحاسبتهم على شكرها.

أولاً: تحقق المطابقة على المستوى المعجمي:

في قوله تعالى: {**أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها**} عبر عن خلق السماء بالبناء، وذلك لما يشتمل عليه البناء من دقة الصنع والإحكام والتدبير والإبداع فناسب ذلك ما أودع في السماء من بديع صنعه سبحانه، فكان التعبير بهذا اللفظ أدعى للفت الأذهان إلى تأمل أسرارها ودلائل قدرة الله تعالى فيها.

وقوله تعالى: {**رفع سمكها**} السمك يطلق على الرفع في الفضاء كما ذهب إليه الراغب الأصبهاني(٤)

---

(١) غافر: ٥٧.

(٢) يس: ٨١.

(٣) تفسير ابن كثير ٤٦٨/٤.

(٤) انظر المفردات (سمك).

والطاهر بن عاشور[1] وذهب الطاهر إلى أن المعنى (رفع رفعها) أي جعله رفيعا على سبيل المبالغة في الرفع، من قبيل قولهم (ليل أليل) و(شعر شاعر) و(ظل ظليل).

وهذا القول فيه سماجة وثقل وتكلف، وأولى منه أن يكون المعنى: رفع قامتها وبناءها، فمن معاني السمك في اللغة: القامة من كل شيء بعيد طويل السمك[2].

ولذا قال ابن كثير {**رفع سمكها فسواها**} "أي جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء"[3].

وقال الزمخشري: {**رفع سمكها**} "أي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام"[4].

وعلى القولين نتبين مناسبة اللفظ للمعنى وهو الدلالة على مدى علوها وارتفاعها، والمبالغة في العلو ظاهرة على القول الأول، أما على القول الثاني فالمقصد أنه رفع بناءها الشامخ المرتفع البعيد الطول والسمك، فرجع المعنى كذلك إلى المبالغة في العلو بوجه ألطف وأنسب من القول الأول.

والتسوية: "التعديل وعدم التفاوت، وهي جعل

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٨٤-٨٥.

(٢) اللسان: (سمك).

(٣) ابن كثير ٤/٤٦٨ ط دار التراث.

(٤) الكشاف ٤/١٨٢.

الأشياء سواء، أي: متماثلة وأصلها أن تتعلق بأشياء، وقد تتعلق باسم شيء واحد على معنى تعديل جهاته ونواحيه ومنه قوله هنا "فسواها" أي عدل أجزاءها وذلك بأن أتقن صنعها فلا ترى فيها تفاوتا".(١)

فالمقصود: "عدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به، وأصلحها من قولك: سوى فلان أمر فلان"(٢).

وقوله: {**وأغطش ليلها**} قيل: أى أظلمه، يقال: "غطش الليل، وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه، ويقال أيضا: أغطش الليل، كما يقال: أظلم"(٣).

ونرى أن في اختيار هذه اللفظة مزية على أظلم؛ لأن الإغطاش لا يعني الظلمة التامة، وذلك أن الغطش في العين: شبه العمش(٤).

والغطش: الضعف في البصر كما ينظر ببعض بصره، ويقال: هو الذي لا يفتح عينيه في الشمس، والغطاش: ظلمة الليل واختلاطه(٥).

ومن ثم نرى أن لفظ الإغطاش قد استعير لليل على سبيل المكنية تشبيها لليل بإنسان أغطش ضعيف البصر، أو يكون على سبيل المجاز من قولهم عيشة

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٨٥.

(٢) الكشاف: ٤/١٨٢.

(٣)السابق والتحرير والتنوير ٣٠/٨٥، واللسان: غطش.

(٤)المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٥/٣٩١ بتحقيقي.

(٥) اللسان: (غطش).

راضية أى مرضية، فكذلك: ليل أغطش أى يغطش فيه البصر، فلما كان الليل يغطش فيه البصر ويضعف وصف الليل نفسه بالغطش على سبيل المجاز والمبالغة، ولا يخفي جماله وقيمته الفنية، وذلك أن الليل لا تسوده الظلمة التامة، ولكن يخفت ضوؤه، لذهاب ضياء الشمس، وحلول نور القمر، ومن ثم قيل: الغطاش: ظلمة الليل واختلاطه، أى اختلاط ظلامه بنوره، ولما كان الأغطش لا يفتح عينيه في الشمس (كما في اللسان) فكذلك الليل الأغطش لا يرى الشمس، وإن كان يناله بصيصها المنعكس على سطح القمر.

ومن ثم نتبين مدى ملاءمة الكلمة القرآنية لمعناها وسياقها بما يمثل إعجازا علميا وكونيا يضاف إلى ذلك الإعجاز اللغوي في هذه الآية الكريمة.

***كذلك في قوله: {أخرج ضحاها}** جاء التعبير بالخروج وهو دال على عكسه أيضا من الدخول، وكلاهما مناسب لظهور ضوء الشمس واختفاؤه لكونه في الحقيقة لا ينعدم ولا يختفي اختفاء تاما بل يخرج من مكان ليدخل في مكان آخر، ثم يخرجه الله تعالى منه إلى المكان الأول وهكذا، ومن ثم نتبين مدى ملاءمة اللفظ: (أخرج).

***وقوله تعالى: {والأرض بعد ذلك دحاها}** يقال دحا الله الأرض يدحوها دحوا بسطها، والأدحوة: بيض النعام في الرمل، لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض

فيه[1] أي توسعه وتديره على قدر حجم بيضتها، ومن ثم يعلم مدى مناسبة اللفظ لصنيع الله تعالى في الأرض من البسط والمد والتوسعة والاستدارة كالبيضة.

*وقوله تعالى: {والجبال أرساها}: يقال: رسا الشيء يرسو رسوا وأرسي: ثبت، والرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ[2].

والذي يتأمل دوران الأرض وحركتها يعلم مدى مناسبة الكلمة القرآنية للفت الأنظار إلى قدرة الله تعالى في تثبيت تلك الجبال حال دورانها بل وجعلها مثبتات للأرض حافظة لتوازنها.

*وقوله تعالى: {متاعا لكم ولأنعامكم}: المتاع في الأصل: كل شيء ينتفع به، ويتبلغ به، ويتزود، والفناء يأتي عليه في الدنيا[3] ومن ثم يعلم مدى مناسبة الكلمة القرآنية لمدلولها من جهة بيان أن هذه المنافع كلها خلقها الله تعالى محققة حاجة الإنسان ونفعه، ثم تؤول بعد إلى فناء فكان الواجب ألا يتعلق بها وينشغل بها عن غايته التي خلق لأجلها، ومن ثم كان في هذا اللفظ مزية في مناسبتها لغرض السورة وفكرتها من التذكرة بالآخرة ما لا تحققه كلمة أخرى.

---

(١) اللسان: (دحا)، والمحكم بتحقيقي ٤٨٨/٣.

(٢) اللسان: (رسا).

(٣) اللسان: متع.

ثانيا: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي:

في قوله تعالى: "أأنت" بتحقيق الهمزتين يستشعر المرء عند النطق بهما حكاية حال المستهزئ بهؤلاء الكافرين المنكرين للبعث وكذلك يستشعر المرء مبالغة في هذا الاستهزاء والاستنكار في قراءة (أأنتمو) بمد الميم.

كما نستشعر تفخيم قدرة الله تعالى في خلق السماء من خلال مدّها المدّ المتصل من أربع إلى ست حركات لا سيما عند الوقف عليها.

في كلمة (أغطش) نستشعر المناسبة بين حروف الكلمة ومعناها ففي الغين والطاء والشين من الغيم والتشويش والاختلاط ما يناسب ما في الليل من غيم وتشويش الضوء واختلاطه بالظلام.

بين (ضحاها- ودحاها) جناس ناقص يحدث جرسا موسيقيا طبيعيا غير متكلف وتناغم جميل بين تلك المظاهر المتجانسة في اللفظ مع تجانس المعنى فهى ترجع كلها إلى دلائل قدرة الله تعالى.

وهذه القيمة الفنية وهى التجانس بين اللفظ والمعنى يحققها كذلك اتفاق فواصل الآيات الدالة على مظاهر قدرة الله تعالى وتجانسها فيما تدل عليه ولذلك نلاحظ أن الفاصلة قد اختلفت حينما اختلف الغرض وانتقل من عرض دلائل قدرة الله تعالى إلى الامتنان على العباد بتلك النعم المذكورة، وهذا ما نلاحظه في الآية الخاتمة لهذه الآيات وهى قوله تعالى: {**متاعا لكم**

ولأنعامكم} حيث نلحظ اختلاف فاصلتها عن فواصل الآيات قبلها، مما يدل على اختلاف الغرض، ولتنبيه المخاطب لذلك ولفته إلى تلك المنة العظيمة.

ثالثاً: تحقيق المطابقة على المستوى الصرفي:

(سوّاها) على وزن (فعّل) وهو يأتي للمبالغة في الشيء وتكثير فعله مما يدل على كمال التسوية.

(أغطش) على وزن (أفعل) وهو لمعان كثيرة فيها في هذا السياق الاتصاف بالغطاش أو الدخول فيه، وذلك متسق مع كلا المعنيين المعجميين السابقين بمعنى جعله كالأغطش أى الأعمى أو بمعنى الدخول في الظلمة، من قولهم أغطش الليل أي أظلم أو أغطشه الله أى أظلمه.

ومناسبة الصيغة هنا من جهة أن المراد هنا ليس المبالغة في وصف الليل بالظلمة وذلك لاشتماله على نور القمر، وإنما المراد هو مجرد وصفه بالظلمة ونسبتها إليه، فلذلك لم يأت الفعل على صيغة تفيد المبالغة والتكثير (كفعَّل) السابقة في (سوّاها) وكذلك في (أخرج ضحاها).

رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي:

في هذه الآيات تنويع أسلوبي مطابقة لمقام هذه الآيات وذلك عن طريق الالتفات بالانتقال من الغيبة إلى الخطاب، حيث كانت الآيات تتحدث عن المشركين بضمائر الغيبة من قوله تعالى: {يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ

فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ *}

والنكتة في ذلك أن الآيات حينما حكت كلام هؤلاء المشركين وشبههم حكته بأسلوب الحديث عن الغائب تجهيلاً لهم وتحقيرا وتهوينا من كلامهم.

ولكن عندما دلفت إلى رد تلك الشبهات وجوابها كان خير سبيل لإبراز ضعف تلك الشبهات، وقوة حجج الحق إزاءها هو مجابهة أصحابها ومواجهتهم، وهذا أدل على تمكن صاحب الحجة من حجته، فلذا خاطبتهم "أأنتم أشد خلقا.. إلخ" كما أن في تلك المجابهة بذلك الأسلوب الاستفهامي الاستنكاري من السخرية بهؤلاء المشركين والاستهزاء بهم ما فيه.

وقد يراد بالاستفهام التقرير بكونهم ليسوا أشد خلقا من السماء والأرض وسائر المخلوقات، وأيا ما كان الغرض من ذلك الاستفهام الاستنكار أو التقرير فأسلوب الخطاب هو المناسب لكلا الغرضين.

جملة (بناها) "مستأنفة استئنافاً بيانيا لبيان شدة خلق السماء، ويجوز أن تكون بدل اشتمال من قوله: {**أم السماء**}"[1].

والظاهر أن هذه الجملة وقعت مستأنفة بيانية وتأتي قيمتها الجمالية في أنها تلفت الأذهان إلى دقة

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٨٤.

الصنع والإحكام في خلق السماء، وتركيب أفلاكها ونجومها وكواكبها كالبناء المنيف.

وفي قوله تعالى: {والأرض بعد ذلك دحاها} "لأجل الاهتمام بدلالة خلق الأرض وما تحتوى عليه قدم اسم "الأرض" على فعله وفاعله فانتصب على طريقة الاشتغال، والاشتغال يتضمن تأكيدا باعتبار الفعل المقدر العامل في المشتغل عنه الدال عليه الفعل الظاهر المشتغل بضمير الاسم المقدم".(١)

وقوله تعالى: {أخرج منها ماءها ومرعاها} "فيه إيجاز حيث اقتصر على المرعى اكتفاء عن ذكر ما تخرجه الأرض من الثمار والحبوب لأن ذكر المرعى يدل على لطف الله بالعجماوات فيعرف منه أن اللطف بالإنسان أحرى بدلالة فحوى الخطاب، والقرينة على الاكتفاء قوله بعده {**متاعا لكم ولأنعامكم**}.

وقد دل بذكر الماء والمرعى على جميع ما تخرجه الأرض قوتاً للناس وللحيوان حتى ما تعالج به الأطعمة من حطب للطبخ فإنه مما تنبت الأرض، وحتى الملح فإنه من الماء الذي على الأرض".(٢)

وقوله تعالى: {والجبال أرساها} قدم الجبال كذلك للفت الأنظار إلى عظمتها وشموخها فيستدل بذلك على عظيم قدرته سبحانه في خلقها وإرسائها، ومن ثم

---

(١)السابق ٣٠/٨٦.

(٢) السابق ٣٠/٨٧ بتصرف.

على بعث الإنسان وحشره لأنه أهون من ذلك كله.

وتأتي الجملة الأخيرة {**متاعا لكم ولأنعامكم**} كالتعليل للنعم السابقة فالقرآن يعلن أن هذا كله كان: {**متاعاً لكم ولأنعامكم**}.. فيذكر الناس بعظيم تدبير الله لهم من ناحية. كما يشير إلى عظمة تقدير الله في ملكه. فإن بناء السماء على هذا النحو، ودحو الأرض على هذا النحو أيضا لم يكونا فلتة ولا مصادفة. إنما كان محسوباً فيهما حساب هذا الخلق الذي سيستخلف في الأرض. والذي يقتضي وجوده ونموه ورقيه موافقات كثيرة جدا في تصميم الكون. وفي تصميم المجموعة الشمسية بصفة خاصة. وفي تصميم الأرض بصفة أخص.

*نلمح كذلك شدة الترابط بين الآيات وتسلسلها بحسب ترتيب الأحداث فالسماء بنيت أولا، ثم رفعت وسويت، وأغطش ليلها، وأخرج ضحاها، ثم بعد ذلك خلقت الأرض ثم دحيت، ثم أخرج منها ماءها ومرعاها، ثم أرسيت جبالها، "وكل أولئك قد كان بعد بناء السماء وبعد إغطاش الليل وإخراج الضحى. والنظريات الفلكية الحديثة تقرب من مدلول هذا النص القرآني حين تفترض أنه قد مضى على الأرض مئات الملايين من السنين، وهي تدور دوراتها ويتعاقب الليل والنهار عليها قبل دحوها وقبل قابليتها للزرع. وقبل استقرار قشرتها على ما هي عليه من مرتفعات

ومستويات."[1]

(١) الظلال ٦/٣٨١٧.

﴿فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى* وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى* فَأَمَّا مَنْ طَغَى* وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى* وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

الفكرة الخامسة

التذكير بالبعث والحساب وبيان أهواله، وتصوير مشاهد الحساب يوم القيامة

تعود الآيات مرة أخرى للتركيز والإلحاح على غرض السورة الكريمة ومقصدها الأعظم ألا وهو تذكير الإنسان بموعد حسابه وجزائه ومرجعه ومآله ومقامه بين يدي ربه سبحانه، يسأله عما قدم وأخر، وتستعين على ذلك بإبراز صورة الجحيم والأهوال ومشاهد العرض والمثول والمقام بين يدي العزيز الجبار، مما يأخذ بمجامع القلوب، ويزعجها من غفلتها، ويستنهضها من رقدتها وركونها إلى الحياة الدنيا بلذاتها وشهواتها، فلعل في ذلك كله ما يقلق هؤلاء الجاحدين ويدعوهم إلى ترك التفريط والحذر من التواني.

والآيات وإن كانت تمثل فكرة جديدة في سياق هذه السورة الكريمة، فإنها تأتي متلاحمة ومنسجمة مع الأفكار السابقة، فقد كانت الفكرة السابقة هي التدليل على قدرة الله على بعث الإنسان بتأمل مظاهر قدرته في الكون، وهذا جد وثيق بهذا الغرض حيث يجتمع البرهان العقلي في الفكرة السابقة مع التأثير القلبي الوجداني في هذه الفكرة، لتمتلك السورة الكريمة على المرء عقله وقلبه وهما سبيلا الهداية اللذان لا سبيل سواهما.

كذلك من حسن الترابط بين الفكرتين، أن الفكرة الأولى تختتم بقوله تعالى: {**متاعاً لكم ولأنعامكم**} فيقرر الحق سبحانه أن الحياة الدنيا بكل ما فيها من وسائل النعم إنما هي متاع، والمتاع لا يدوم إنما يكون مقدرا بقدر إلى حين ووقت معلوم، وهو الوقت الذي سيسأل فيه المرء عن ذلك النعيم، وعما وجب عليه المرء من القيام بحقه وأداء شكره، ومن ثم يصبح الكلام لصيقاً جدا بالحديث عن ذلك اليوم الذي يتلهى الإنسان وينشغل عنه بذلك المتاع حيث يعاين الأهوال والأوجال فذلك يوم الطامة الكبرى، يوم يتذكر الإنسان ما سعى.

"وإذ قد قدم قبل الاستدلال تحذير إجمالي بقوله {**يوم ترجف الراجفة**} الآية كما يذكر المطلوب قبل القياس في الجدل، جيء عقب الاستدلال بتفصيل ذلك التحذير مع قرنه بالتبشير لمن تحلى بضده فلذلك عبر عن البعث ابتداء بالراجفة لأنها مبدؤه، ثم بالزجرة، وأخيراً بالطامة الكبرى لما في هذين الوصفين من معنى يشمل الراجفة وما بعدها من الأهوال إلى أن يستقر كل فريق في مقره.

ومن تمام المناسبة للتذكير بيوم الجزاء وقوعه عقب التذكير بخلق الأرض، والامتنان بما هيأ منها للإنسان متاعا به، للإشارة إلى أن ذلك ينتهي عندما يحين يوم البعث والجزاء.(١)

---

(١) التحرير والتنوير :٨٩/٣٠.

أولا: تحقق المطابقة على المستوى المعجمي:

"جاءت" هنا مجاز في الحصول والوقوع لأن الشيء الموّقت المؤجل بأجل يشبه شخصا سائرا إلى غاية، فإذا حصل ذلك المؤجل عند أجله فكأنه السائر إذا بلغ المكان المقصود".(١)

الطامة: التعبير بهذا اللفظ يحقق التناسب التام مع حقيقة المقصود به وذلك لأن الطامة هي "الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وفي أمثالهم جرى الوادي فطم على القرى، وهى القيامة لطمومها على كل هائلة، وقيل هي النفخة الثانية، وقيل الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار".(٢)

فالطامة هي "الحادثة أو الوقعة التي تطم، أي تعلو وتغلب بمعنى تفوق أمثالها من نوعها بحيث يقل مثلها في نوعها، مأخوذ من طم الماء، إذا غمر الأشياء وهذا الوصف يؤذن بالشدة والهول إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة ثم بولغ في تشخيص هولها بأن وصفت بـ"الكبرى" فكان هذا أصرح الكلمات لتصوير ما يقارن هذه الحادثة من الأهوال.

والمراد بالطامة الكبرى: القيامة وقد وصفت بأوصاف عديدة في القرآن مثل الصاخة والقارعة

---

(١) التحرير والتنوير :٣٠/٩٠.

(٢) الكشاف للزمخشري: ٤/١٨٣. وانظر الألوسي ٣٠/٣٥.

والراجفة ووصفت بالكبرى.[١]

(يتذكر) التعبير بالتذكر يدل على أنه قد سبق من الإنسان الغفلة والنسيان لهذا اليوم فلم يعمل له، ولم يستعد له استعداده، ولذلك يقال له حينئذ كما جاء في سورة ق: {**لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**}[٢].

(برزت) أي أظهرت، وإبراز الشيء وتبريزه جعله بارزا ظاهرا للعيان، والبروز أولى للسياق من الظهور، فلهذا عبر به، لأن الشيء قد يظهر ولكن لا يكون بارزا، فدل ذلك على ظهور تلك النيران بارزة أمام الناس تشغل الحيز وتملأ المكان، وهذا كما في قوله تعالى: {**وجئ يومئذ بجهنم**}[٣].

(آثر): الإيثار: "تفضيل شيء على شيء في حال لا يتيسر فيها الجمع بين أحوال كل منهما."[٤]

والمراد بالحياة الدنيا: حظوظها ومنافعها الخاصة بها، أي التي لا تشاركها فيها حظوظ الآخرة، فالكلام على حذف مضاف، تقديره: نعيم الحياة.

ويفهم من فعل الإيثار أن معه نبذا لنعيم الآخرة.

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٩٠.

(٢) ق: ٢٢.

(٣) الفجر: ٢٣.

(٤) التحرير والتنوير: صـ٩١.

ويرجع إيثار الحياة الدنيا إلى إرضاء هوى النفس.

"وملاك هذا الإيثار هو الطغيان على أمر الله، فإن سادتهم ومسيريهم يعلمون أن ما يدعوهم إليه الرسول هو الحق ولكنهم يكرهون متابعته استكبارا عن أن يكونوا تبعا للغير فتضيع سيادتهم.

وقد زاد هذا المفاد بياناً قوله بعده {**وأما من خاف مقام ربه**} وبه يظهر أن مناط الذم في إيثار الحياة الدنيا هو إيثارها على الآخرة، فأما الأخذ بحظوظ الحياة الدنيا التي لا يفيت الأخذ بها حظوظ الآخرة فذلك غير مذموم، وهو مقام كثير من عباد الله الصالحين حكاه الله تعالى عن صالحي بني إسرائيل من قولهم لقارون {**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبَك من الدنيا**}.[1][2]

وجاء لفظ الإيثار هنا مطابقاً لمراده لأن المقصود ليس هو النهى عن العمل للدنيا والتمتع بطيباتها، ولكن النهى هنا عن إيثار الدنيا على الآخرة وتقديمها عليها، وليس عن الجمع بينهما.

ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي:

الطامة: تشمل على تفخيم الطاء ومدها مدا لازما مقداره ست حركات مما يوحي بفخامة هذا اليوم وشدته وبأسه وطوله، وينتهي المد إلى الميم المشددة

(١) القصص:٧٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/٩٢ بتصرف يسير.

التي تجتمع عندها الشفتان عند النطق بها، مع انتهاء المدّ بالسكون في الميم الأولى من الميم المشددة مما يحاكى ما يؤول إليه الأمر من السكون والفناء والإطباق على كل شيء في هذا اليوم والسيطرة التامة عليه.

وهذه الظاهرة نلمحها في كثير من أسماء القيامة الأخرى كالحاقة والصاخة والقارعة والصاعقة وغيرها[1].

(بُرِّزت) {**وبرزت الجحيم لمن يرى**}.. فهى بارزة مكشوفة لكل ذي نظر. ويشدد التعبير في اللفظ "برزت" تشديداً للمعنى والجرس، ودفعاً بالمشهد إلى كل عين![2]

(آثر) المد في الألف يحاكى التعلق بهذه الحياة الدنيا، والانشغال بها عما سواها من الآخرة.

ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى الصرفي:

(فإذا جاءت) عبر بالفعل الماضي وأريد به المستقبل للدلالة على تحقق الوقوع.

(الطامة الكبرى) اختير للطامة صيغة اسم الفاعل بما لها من دلالة مزدوجة حيث تجمع بين الفعلية الدالة على الحدوث والوقوع، والاسمية الدالة على الثبوت، مع اتباع ذلك بوصفها بصيغة التفضيل، فاجتمع لتلك الطامة الوصف بالوقوع والثبوت والعظمة

---

(١) انظر بحثنا عن التوظيف الفني للدلالة الصوتية.

(٢) في ظلال القرآن: ٣٨١٨/٦.

والتفرد، وكل ذلك تهويل لشانها، وبيان لعظم هولها.

(يوم يتذكر الإنسان ما سعى) سواء كانت (ما) موصولية أو مصدرية تبقى مزية التعبير بالفعل سعى للدلالة على تذكر تفاصيل السعي من جهة تذكره كأحداث وقعت، وفعل فعل، بخلاف التعبير بصيغة الاسم (يوم يتذكر الإنسان سعيه) فإنها تدل على جملة السعي وتصوره على الجملة، لا تصوره من جهة وقوعه وحدوثه بما يشمل تصور الكيفية والتفاصيل.

(برزت الجحيم) عُبر بصيغة البناء للمجهول لكي ينصب التركيز عليها، وتوضع في بؤرة الاهتمام فليس المراد إبراز الفاعل المبرز لها، وإنما المراد إبراز الجحيم وتعظيمها في النفوس لأنها محل الترهيب والتخويف.

كذلك استخدمت صيغة الفعل (فعَّل) الذي يفيد التكثير والمبالغة مما يدل على المبالغة في إبرازها وإظهارها للناظرين.

(آثر) على وزن فاعل، والمفاعلة تأتي لما فيه مغالبة ومصارعة مما يناسب مغالبة الحياة الدنيا والحرص على جمع حطامها.

(المأوى): "اسم مكان من أوى، إذا رجع، فالمراد به: المقر والمسكن لأن المرء يذهب إلى قضاء شؤونه ثم يرجع إلى مسكنه"[1]، ومن ثم فكون الجنة

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٩٣.

مأوى للإنسان المؤمن أمر ظاهر، أما بالنسبة للكافر فكون النار مأوى له إنما هو على سبيل التهكم والسخرية به، وذلك لأن المأوى هو ما يؤوى صاحبه ويقيه ما يتأذى به، فإذا كان المأوى أذى في نفسه فبئس المأوى هو.

(مقام ربه) المقام اسم مكان، وعبر باسم المكان عن الحضرة الإلهية تعظيما وتوقيرا، فإن من خشي تلك الحضرة وقرب المكان نفسه كان لصاحب المكان والمقام أكثر خشية.

"و(مقام ربه): مجاز عن الجلال والمهابة وأصل المقام مكان القيام فكان أصله مكان ما يضاف هو إليه، ثم شاع إطلاقه على نفس ما يضاف إليه على طريقة الكناية بتعظيم المكان عن تعظيم صاحبه، مثل ألفاظ: جناب، وكنف، وذرى، قال تعالى: {**ولمن خاف مقام ربه جنتان**}(١) وقال {**ذلك لمن خاف مقامي**}(٢) وذلك من قبيل الكناية المطلوب بها نسبة إلى المكنى عنه فإن خوف مقام الله مراد به خوف الله والمراد بالنسبة ما يشمل التعلق بالمفعول".(٣)

رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي:

الفاء في قوله تعالى: {فإذا جاءت الطامة

---

(١) الرحمن: ٤٦.

(٢) إبراهيم: ١٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/٩٣.

الكبرى} للتفريع على ما سبق و"يجوز أن يكون التفريع على الاستدلال الذي تضمنه قوله {**أأنتم أشد خلقاً أم السماء**} الآيات، فإن إثبات البعث يقتضي الجزاء إذ هو حكمته. وإذا اقتضى الجزاء كان على العاقل أن يعمل لجزاء الحسنى، ويجتنب ما يوقع في الشقاء، وأن يهتم بالحياة الدائمة فيؤثرها، ولا يكترث بنعيم زائل فيتورط في اتباعه، فلذلك فرع على دليل إثبات البعث تذكير بالجزاءين، وإرشاد إلى النجدين.

"ويجوز أن يجعل قوله: {**فإذا جاءت الطامة الكبرى**} مفرعا على قوله {**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**} فإن الطامة هي الزجرة.

ومناط التفريع هو ما عقبه من التفصيل بقوله: {**فأما من طغى**} الخ إذ لا يلتئم تفريع الشيء على نفسه.(١)

ومن ثم ندرك مدى الترابط بين أجزاء السورة وفقرها.

إذا: إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، ولذا فهو يصرف الفعل الماضي بعده إلى الاستقبال، وهو اسم شرط يفيد التحقيق بخلاف (إن) الشرطية التي تفيد الشك، وزيادة في إفادة التحقيق يؤتى بالفعل بعده بصيغة الماضي، وإن كان دالاً على الاستقبال ليجعل ما سوف يقع في حكم ما وقع بالفعل.

---

(١) التحرير والتنوير: ٨٩/٣٠.

{يوم يتذكر الإنسان ما سعى، وبرزت الجحيم..إلخ} الجمل بعد قوله تعالى: **{فإذا جاءت الطامة الكبرى}** تفصيل لما أجمل وبيان له، فموقع جملة يوم يتذكر.. الخ بدل اشتمال من جملة ما يكون في الطامة الكبرى.

ويدل كذلك على أن هذه الجمل تفصيل لما سبق وجود (أما) التفصيلية بها (فأما من طغى) (وأما من خاف).

(لمن يرى) "أي لكل راء، ففعل "يرى" منزل منزلة اللازم لأن المقصود لمن له بصر، كقول البحتري:

"أن يرى مبصر ويسمع واع".(١)

وقال الزمخشري: {لمن يرى} للرائين جميعا أي لكل أحد يعني أنها تظهر إظهارا بينا مكشوفا يراها أهل الساهرة كلهم كقوله: **(قد بين الصبح لذي عينين)** يريد لكل من له بصر وهو مثل في الأمر المنكشف الذي لا يخفى على أحد".(٢)

قوله تعالى: {ونهى النفس} التعبير بهذا التركيب المشتمل على الفعل المتعدى إلى مفعوله (النفس) أدق من التعبير بالفعل اللازم (انتهى عن المعاصي أو (انكف عنها) وذلك لأنّ التعبير بهذا

(١) التحرير والتنوير: ٩١/٣٠. انظر الألوسي ٣٥/٣٠.

(٢) الكشاف: ١٨٣/٤.

التركيب دلّ على ان المعتبر عند الله تعالى هو (إصلاح النفس) وقوة الإرادة، وعمل القلب، وهو بلا شك عماد الأمر في صلاح الأعمال، وانقياد الجوارح.

"فنهى الخائف نفسه مستعار للانكفاف عن تناول ما تحبه النفس من المعاصي والهوى، فجعلت نفس الإنسان بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السيئات وهو ينهاه عن هذه الدعوة، وهذا يشبه ما يسمى بالتجريد يقولون: قالت له نفسه كذا فعصاها، ويقال: نهى قلبه، ومن أحسن ما قيل في ذلك قول عروة بن أذينة:

وإذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الفؤاد إلى الضمير
فسلها[1]

(١) التحرير والتنوير: ٩٢/٣٠. انظر روح المعاني للألوسي ٣٦/٣٠.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا* فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا* إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا*إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا* كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾

الفكرة السادسة

(تهديد المكذبين المستبعدين للساعة وتعظيم أمرها وتهوين قيمة الدنيا إزاءها)

لما توعد الله تعالى هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث والقيامة بالطامة الكبرى والدواهي العظام في ذلك اليوم الذي يكذبون به، كان سؤال هؤلاء المشركين عن وقوع الساعة استهزاء واستخفافاً بها.

"وكان سؤالهم استهزاء واستخفافا لأنهم عقدوا قلوبهم على استحالة وقوع الساعة وربما طلبوا التعجيل بوقوعها وأوهموا أنفسهم وأشياعهم أن تأخر وقوعها دليل على اليأس منها لأنهم يتوهمون أنهم إذا فعلوا ذلك مع الرسول لو كان صادقا لحمى غضب الله مُرسله سبحانه فبادر بإراءتهم العذاب وهم يتوهمون شؤون الخالق كشؤون الناس إذا غضب أحدهم عجل بالانتقام طيشا وحنقا قال تعالى {**لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا**}.[1]

فلا جرم لما قضى حق الاستدلال على إمكان البعث بإقامة الدليل وضرب الأمثال، وعرض بعقاب الذين استخفوا بها في قوله {**فإذا جاءت الطامة**

---

(١) الكهف: ٥٨.

الكبرى}، كان ذلك مثارا لسؤالهم أن يقولوا: هل لمجيء هذه الطامة الكبرى وقت معلوم؟ فكان الحال مقتضيا هذا الاستئناف البياني قضاء لحق المقام وجوابا عن سابق الكلام.(١)

والآيات تحكى سؤال هؤلاء المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وإلحاحهم في معرفة وقت الساعة وإبانها، وتبين الآيات أن أمر الساعة وعلم وقتها لا يظهر عليه أفضل الخلق وأكثرهم قربة ومنزلة عند الله فهي مما استأثر الله تعالى بعمله، وأن مهمة الرسول تنحصر في النذارة لمن يهمه أمر الساعة ويخشاها، ثم تنتهي السورة بهذا الجواب الحكيم لأولئك السائلين عن الساعة بأنها مهما طال زمانها فإن ذلك الزمان كله بالنسبة لطول ذلك اليوم وكثرة أهواله ما هو إلا كبعض يوم عشية أو ضحاها.

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٩٤.

أولاً: تحقق المطابقة على المستوى المعجمي:

الساعة: علم على القيامة، والساعة هي "جزء من أجزاء الليل والنهار"[1] ولكنها في هذا السياق وأشباهه علم على ساعة البعث والنشور، وأل الداخلة عليها كالداخلة على (الكتاب) لسيبويه، فكأنها لا ساعة غيرها لاستفاضة ذكرها والعلم بها، ولما كان سؤال المشركين عن وقت القيامة لذا جاء التعبير باسم الساعة دون غيرها من الأسماء لأنه الاسم الدال على الوقت، فكأن المراد (يسألونك عن الساعة المحتوية للبعث والنشور) وقد ذكرها من قبل بالطامة لأنه أنسب للتوعد فاتسقت بهذا الوصف مع سياقها، وذكرها هنا بالساعة لأنه أنسب للتوقيت المسئول عنه، فضلا عما في ذلك من التفنن والتنويع بذكر الشيء الواحد بأكثر من لفظ، وتحاشيا للوقوع في التكرار المستهجن.

"مرساها" مصدر ميمي لفعل أرسى، والإرساء: جعل السفينة عند الشاطئ لقصد النزول منها. واستعير الإرساء للوقوع والحصول تشبيها للأمر المغيب حصوله بسفينة ماخرة البحر لا يعرف وصوله إلا إذا رست".[2]

والتعبير بهذا اللفظ يستشعر منه سخرية

---

(١) اللسان: سوع.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/٩٥. وانظر روح المعاني للألوسي٣٠/٣٧.

المشركين واستهزاءهم بأمر الساعة واستبعادهم له، مما يدل على رعاية حال المتكلم[1] .

و(ما) في قوله "فيم" اسم استفهام بمعنى: أي شيء؟ مستعملة في التعجيب من سؤال السائلين عنها ثم توبيخهم. و(في) للظرفية المجازية بجعل المشركين في إحفائهم بالسؤال عن وقت الساعة كأنهم جعلوا النبي محوطا بذكر وقت الساعة، أي متلبسا به تلبس العالم بالمعلوم فدل على ذلك بحرف الظرفية على طريقة الاستعارة في الحرف".[2]

ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي:

تختتم السورة بهذه الآيات ذات الفواصل المديدة الرخية التي تترك تجاوبا وإيقاعا مديدا مؤثرا في النفوس، يمتد إلى ما بعد الفراغ من السورة بحيث يبقى صداه مترددا في الصدور يدعوها إلى تأمل دعوة الحق.

كذلك تشتمل فواصل الآيات على الهاء الممدودة التي تقع بمثابة المنبه، فكأنها هاء للتنبيه والزجر، فهي بمثابة صيحات إيقاظ وتنبيه للنفوس من رقدتها وغفلتها.

لفظة (أيان) تشتمل على المد الذي ينقل إلى النفس حال الكافر المتكلم بذلك، فهو مستبعد للساعة، يستطيل زمانها، ولذا تختار الآية هذا اللفظ المتباعد في

---

(١) انظر بحثنا رعاية حال المتكلم في سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/٩٥-٩٦.

الطول ليوحي بهذا الشعور، مما يدل على رعاية الآية لحال المتكلم كذلك، ومن هنا يعلم مزية اختيار هذا اللفظ على نظيره (متى) وكلاهما يسأل به عن تحديد الوقت.

ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى الصرفي:

(يسألونك) جاء التعبير عن سؤالهم بصيغة المضارع للدلالة على تجدد سؤالهم وتكرره وإلحاحهم فيه[١].

(مرساها) جاء التعبير بالمصدر الميمي لأنه سؤال عن وقت الاستقرار والانتهاء تشبيها بالسفينة.

(منتهاها) جاء التعبير بالمصدر الميمي كذلك للدلالة على الاستقرار والانتهاء.

(منذر) جاء التعبير باسم الفاعل للجمع بين دلالة الحدوث والتجدد مع الثبات والدوام، وقد كان ذلك حال النبي تجدد النذارة والدوام عليها.

رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي:

جملة {**يسألونك عن الساعة**} جاءت استئنافا بيانيا يبين حال المشركين في إلحاحهم بالسؤال عن وقت الساعة استهزاء واستخفافا[٢].

وجملة {**فيم أنت من ذكراها**} واقعة موقع الجواب عن سؤالهم عن الساعة بطريقة الأسلوب الحكيم، حيث سألوا عن تحديد وقتها، فأجيبوا بسؤالهم عما أعدوا لها، لأن معنى الآية (في أي شيء أنت أيها

---

(١) انظر التحرير والتنوير ص٩٥ج (٣٠).

(٢) انظر التحرير والتنوير ص٤٩ج (٣٠).

المخاطب من ذكراها) فهو استنكار لأن يكون من ذكراها مقتصرا على طلب موعدها دون عمل أو سعى للنجاة من أهوالها.

"فهذا الجواب من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو من تلقى السائل بغير ما يتطلب تنبيها له على أن الأولى به أن يهتم بغير ذلك، وهو مضمون قوله {**إنما أنت منذر من يخشاها**}. وهذا ما يسمى بالأسلوب الحكيم ونظيره ما روي في الصحيح أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال له "ماذا أعددت لها؟" أي كان الأولى لك أن تصرف عنايتك إلى الاستكثار من الحسنات إعدادا ليوم الساعة.

والخطاب وإن كان موجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالمقصود بلوغه إلى مسامع المشركين فلذلك اعتبر اعتبار جواب عن كلامهم وذلك مقتضى فصل الجملة عن التي قبلها شأن الجواب والسؤال".[1]

والجواب{**فيم أنت من ذكراها**} "جواب يوحي بعظمتها وضخامتها، بحيث يبدو هذا السؤال تافهاً باهتاً، وتطفلا كذلك وتجاوزاً. فها هو ذا يقال للرسول العظيم: "فيم أنت من ذكراها؟" إنها لأعظم من أن تسأل أو تسأل عن موعدها. فأمرها إلى ربك وهى من خاصة

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٩٥.

شانه وليست من شأنك."[1]

وتقديم "فيم" على المبتدأ للاهتمام به ليفيد أن مضمون الخبر هو مناط الإنكار بخلاف ما لو قيل: أأنت في شيء من ذكراها؟".

والذكرى: اسم مصدر الذكر، والمراد به **هنا** الذكر اللساني.

"وجملة {**إلى ربك منتهاها**} في موقع العلة للإنكار الذي اقتضاه قوله {**فيم أنت من ذكراها**} ولذلك فصلت، وفي الكلام تقدير مضاف، والمعنى: إلى ربك علم منتهاها.

{**إنما أنت منذر من يخشاها**} دلت "إنما" على قصر المخاطب وهو النبي على صفة واحدة هي الإنذار والتحذير من بغتة الساعة ومفاجأتها بأهوالها وأوجالها لكي ينذر من يخشاها فينتفع بذلك ويحق القول على الكافرين، فتقام الحجة عليهم بنذارته.

{**كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها**}[2].

"جواب عما تضمنه قوله: يسألونك عن الساعة أيان مرساها باعتبار ظاهر حال السؤال من طلب

---

(١) الظلال: ٦/٣٨١٩-٣٨٢٠.

(٢) النازعات: ٤٦.

المعرفة بوقت حلول الساعة واستبطاء وقوعها الذي يرمون به إلى تكذيب وقوعها، فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم، أى إن طال تأخر حصولها فإنها واقعة وأنهم يوم وقوعها كأنه ما لبثوا في انتظار إلا بعض يوم."[١]

فحاصل الجواب أن ما سألوا عنه غير مفيد ولا نافع لهم، لأن الساعةمهما تأخر زمانها، فإن عمر الدنيا لا يقاس إليها بشيء إلا كعشية أو ضحاها، فالأولى بهم أن يستعدوا لها باغتنام الفرصة في ذلك الزمن المحدود المتاح لهم العيش فيه.

في قوله (عشية أو ضحاها) المراد (عشية يوم أو ضحاه) أضيف الضحى لضمير العشي لأدنى ملابسة ، قال الزمخشري: "{**إلا عشية أو ضحاها**} (فإن قلت) كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية (قلت) لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد (فإن قلت) فهلا قيل إلا عشية أو ضحى، وما فائدة الإضافة؟ (قلت) الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه، عشيته أو ضحاه، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته فهو كقوله {**لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ**}".[٢][٣]

---

(١) التحرير والتنوير: ٩٨/٣٠.

(٢) يونس: ٤٥.

(٣) الكشاف: ١٨٤/٤.

الخاتمة

لقد طوف البحث حول ما عنّ له وظهر من السمات الأسلوبية الواضحة لهذه السورة المكية العظيمة، ومعلوم أن السور المكية إنما تخاطب كثرة كاثرة من المشركين وقلة قليلة من المؤمنين، وهي تحاول زعزعة هؤلاء المشركين عن عقائدهم الباطلة التي يستميتون في الدفاع عنها والسخرية بكل ما خالفها، كما تحاول في الوقت نفسه تثبيت دعائم الإيمان في قلوب هذه القلة من الموحدين المؤمنين. وفي سبيل تحقيق هذا الغرض اتسمت السورة بسمات أسلوبية عامة تناسب تحقيق ذلك الغرض.

أولاً: على المستوى المعجمي: تم اختيار الكلمات التي توحي بجو البعث والنشور وتنقل المرء إلى استيحاء الدار الآخرة واستجلاء صورها بدءاً من ساعة الاحتضار والنزع إلى لحظة القرار في الجنة أو الجحيم.

ومن هنا نجد الكلمات والجمل الموحية بهذه النقلة مثل (النازعات غرقا - الناشطات نشطاً- يوم ترجف الراجفة - تتبعها الرادفة - قلوب يومئذ واجفة - أبصارها خاشعة... فإذا جاءت الطامة الكبرى - يوم يتذكر الإنسان ما سعى - وبرزت الجحيم لمن يرى - فأما من طغى...إلخ).

وهكذا نجد أن أغلب كلمات السورة إنما تعبر

عن تلك النقلة إلى الدار الآخرة، وهى ما يكذب به المشركون لأنه من الغيب الذي تدعوهم السورة للإيمان به، والسورة الكريمة بتوظيف هذه الكلمات تعمل على نقل المخاطب إلى هذه الدار، وتصوير هذه المشاهد الغيبية له، وجعلها بمثابة الواقع المشاهد.

كما نجد مناسبة الكلمات بدلالتها المعجمية في كل آية بحسب الفكرة المطروحة، وتأتى الدلالة المعجمية على رأس الدلالات المشاركة في ترجمة هذه الفكرة والتعبير عنها.

ثانياً: على المستوى الصوتي: استطاعت السورة الكريمة أن توظف إيقاع الفواصل، ومدود الكلمات والجمل ورءوس الآي لأجل تحقيق أغراضها المتنوعة مثل:

١-التعبير عن سرعة النقلة من الحياة الدنيا إلى الدار الآخرة وذلك عن طريق الإيقاع السريع كما في (والنازعات غرقا - والناشطات نشطا - والسابحات سبحا...إلخ).

٢-التأثير في النفوس وإيجاعها بالمدود المنتهية بهاء السكت التي تشبه الندب لفجيعة أو مصيبة (ما هي في الحقيقة إلا أهوال القيامة) كما في (يوم ترجف الراجفة - تتبعها الرادفة - قلوب يومئذ واجفة...إلخ).

٣-المراوحة والمزاوجة بين المدود والإيقاعات السريعة والمدود الرخيّة المديدة التى تعبر عن جوّ القصص القرآني بما يفسح المجال لاستخلاص العظة والعبرة كما في (هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه

بالواد المقدس طوى...إلخ القصة).

٤-التناسب الصوتي في كل فكرة من أفكار السورة بين الدلالة الصوتية التي يوحي بها التركيب الصوتي للكلمة القرآنية، وبين الفكرة التي تعبر عنها الآيات، على نحو ما بيناه في ثنايا البحث في كثير من كلمات هذه السورة الكريمة.

٥-حاول البحث أن يجلي الدلالة الصوتية فيما اتضح له من الكلمات القرآنية ولكن يبقى بعد ذلك من الناحية الصوتية:

أ-خلو السورة من الكلمات الناشزة أو المتنافرة من الناحية الصوتية.

ب-ارتياح السمع والنفس لكلمات السورة وأصواتها وجرسها.

جـ- الشعور بعذوبة الصوت، وحلاوة الجرس في كل كلمة من كلمات السورة وإن عجز البيان عن كشف علته، أو استجلاء سره، واستكناه حقيقته.

ثالثاً: على المستوى الصرفي:

١- اتكأت السورة على توظيف اسم الفاعل لما يتميز به من الدلالة المزدوجة في التعبير عن الحدوث والثبات في الوقت نفسه وذلك لطبيعة الدلالة المزدوجة الجامعة بين سمات الاسمية والفعلية في آن واحد، وقد لاءم ذلك طبيعة السوسة في تنقلها ومقارنتها من المتغير والثابت، بين الحياة الدنيا بأحداثها المتجددة المتكررة وبين الآخرة بما فيها من ثبات ودوام.

٢-تم التناسق والتناسب بين الصيغ المختارة من

العديد من الخيارات الصرفية المطروحة وبين أفكار السورة في كل فقرة من فقراتها، بما يحقق الاختيار الأسلوبي الموفق، وقد كشف البحث عن مدى الملاءمة بين الكثير من الصيغ والأفكار الدالة عليها.

٣-بقيت هناك صيغ كثيرة لم يقف البحث عندها بالتحليل ولكنها في الوقت نفسه - تتسم بالتناسق والتناغم مع جوّ السورة وسياقها اللفظي والمعنوي، وذلك لأن السمع يستحليها ولا يمجها، بل ترتاح لها النفس، ويأنس بها القلب، وتشنف لها الأذن.

رابعاً: على المستوى النحوي (النظم وعلم المعاني):

١-زاوجت الجمل بين الطول والقصر، فحيث يراد التعبير عن سرعة النقلة إلى الحياة الآخرة أو بيان تتابع أحداثها وأهوالها تأتي الجمل القصار (والنازعات غرقا.....يوم ترجف الراجفة...إلخ)

وحيث يراد السرد والقص تأتي الجمل الطويلة نوعاً ما كما في (هل أتاك حديث موسى، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى...إلخ).

٢-يتنوع التركيب النحوي في السورة بحسب الأفكار التي تعبر السورة عنها بين الجمل الاسمية والفعلية، والتقديم والتأخير، والذكر، والحذف، والتكرار، وأسلوب التوكيد، وأسلوب القسم وغير ذلك من التراكيب والأساليب النحوية المتعددة.

خامساً: على مستوى التصوير البياني:

تتناثر الصور البيانية من خلال مشاهد السورة

المختلفة، وقد أبرزها البحث من خلال الدلالة المعجمية تارة، أو التركيب النحوي تارة أخرى، وكشف البحث عن تناغمها مع جو السورة ومشاهدها دون شيء من التكلف أو المبالغة أو محاولة حشر الصور والزج بها بما قد يتنافر مع الصورة الكلية التي رسمتها السورة بوسائالها التعبيرية المتعددة والمتنوعة.

سادساً: على مستوى الفنون البديعية:

لم تخل السورة كذلك من الفنون البديعية لاسيما الأسلوب الحكيم الذي ناسب طبيعة الحوار مع المشركين المتعنتين في سؤالهم عن الساعة وإلحاحهم فيه.

وقد جاءت الفنون البديعية في هذه السورة قليلة ولكنها موظفة توظيفاً رائعاً يناسب طبيعة السورة وسياقها، بلا تكلف ممقوت، وليس على سبيل الزينة الزخرفية الزائدة التي تمثل عبئاً على الصورة الكلية التي رسمتها السورة بوسائلها المتعددة.

ونستطيع أن نقول: إن وضوح الصورة الفنية من خلال الوسائل التعبيرية المتعددة هو الذي أغنى عن الإكثار من الصور البديعية كما أغنى عن الإكثار من الصور البيانية كذلك.

وقد كشف البحث عن بعض هذه الصور من خلال ما حملت عليه من مستويات الدلالة المعجمية أو النحوية أو غير ذلك.

وغنى عن البيان أن نقرر بعد ذلك أن السورة قد بلغت حد الإعجاز المذهل للعقول في توظيف تلك

الوسائل التعبيرية المتعددة للتعبير عن أفكارها فهذه طبيعة النسق القرآني المجيد الذي نزل من لدن حكيم حميد.

تمت بحمد الله

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

{وما أنت بتابع قبلتهم...}	البقرة:١٤٥	٢٤
{كل له قانتون}	البقرة:١١٦	٤٩
{كما أرسلنا فيكم رسولاً..}	البقرة:١٥١-١٥٢	٦٧
{أحل لكم ليلة الصيام...}	البقرة:١٨٧	٧٥
{لقد منَّ الله على المؤمنين..}	آل عمران:١٦٤	٦٧
{إنهم كانوا قوماً عمين}	الأعراف:٦٤	٢٦
{خذ من أموالهم صدقة...}	التوبة:١٠٣	٦٥
{لم يلبثوا إلا ساعة من نهار}	يونس:٤٥	١١ ٦
{فلما ذهب عن إبراهيم...}	هود:٧٤	٥١
{وما كنا سارقين...}	يوسف:٧٣	٢٤
{ذلك لمن خاف مقامي...}	إبراهيم:١٤	١٠ ٣
{وكلبهم باسط ذراعيه...}	الكهف:١٨	٢٥
{لو يؤاخذهم بما كسبوا...}	الكهف:٥٨	١٠ ٩
{ولولا فضل الله عليكم...}	النور:٢١	٦٦
{قال أولو جئتك بشيء...}	الشعراء:٣٠-٣٢	٧٧
{ما علمت لكم من ...}	القصص:٣٨	٦٥

{كل له قانتون}	الروم:٢٦	٤٩
{ما خلقكم ولا بعثكم...}	لقمان:٢٨	٥٠
{إنما يخشى الله من عباده...}	فاطر:٢٨	٧٨
{أو ليس الذي خلق....}	يس:٨١	٨٢
{وَنُفِخَ فِي الصُّور فصَعِقَ...}	الزمر:٦٨	٦٠
{لخلق السموات...}	غافر:٥٧	٨٢
{لقد كنت في غفلة...}	ق:٢٢	٩٨
{والذاريات ذروا....}	الذاريات:١-٦	٣٢
{فلا تزكوا أنفسكم...}	النجم:٣٢	٦٥
{فأخذناهم أخذ عزيز...}	القمر:٤٢	٦٩
{ولمن خاف مقام ربه...}	الرحمن:٤٦	١٠ ٣
{إذا رجت الأرض رجا...}	الواقعة:٤	٥٤
{هو الذي بعث في...}	الجمعة:٢	٦٧
{فأخذهم أخذة رابية}	الحاقة:١٠	٧٠
{يوم ترجف الأرض...}	المزمل:١٤	٥٤
{إلى ربك يومئذ المستقر...}	القيامة:١٢	٣٣
{فلا صدق ولا صلى...}	القيامة:٣١-٣٢	٦٩
{والمرسلات عرفا...}	المرسلات:١-٧	٣١

{والنازعات غرقا...}	النازعات:١-٥	١٤
{يوم ترجف الراجفة...}	النازعات:٦-١٤	٣٥
{هل أتاك حديث موسى...}	النازعات:١٥-٢٦	٦١
{أأنتم أشد خلقاً...}	النازعات:٢٧-٣٢	٨٠
{فإذا جاءت الطامة...}	النازعات:٣٤-٤١	٩٤
{يسألونك عن الساعة...}	النازعات:٤٢-٤٦	١٠٧
{كأنهم يوم يرونها...}	النازعات:٤٦	١١٥
{وما يدريك لعله...}	عبس:٣	٦٦
{ماء دافق...}	الطارق:٦	٢٩
{قد أفلح من زكاها...}	الشمس:٩-١٠	٦٥
{ولا أنا عابد ما عبدتم...}	الكافرون:٤	٢٤

المصادر والمراجع

١-**إبراهيم السامرائي**: الفعل زمانه وأبنيته - ط مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢- **الألوسي (شهاب الدين السيد محمود)**: روح المعاني - ط دار إحياء التراث.

٣-**تمام حسان**: اللغة العربية معناها ومبناها - ط الهيئة المصرية للكتاب.

٤-**الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)**: دلائل الإعجاز - ط المدني - تحقيق أ/ محمود شاكر.

٥-**ابن جني (أبو الفتح عثمان)**: الخصائص -ط دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت لبنان - تحقيق محمد عبد الوهاب النجار.

٦-**الجلالين (السيوطي والمحلي)**: تفسيرهما - ط دار المعرفة - بيروت.

٧-**أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)**: البحر المحيط - مطبعة السعادة - مصر - ١٣٢٨هـ.

٨- **الرازي (فخر الدين محمد بن عمر)**: تفسيره مفاتيح الغيب - ط دار الفكر العربي.

٩-**الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)**: المفردات - ط دار المعرفة - بيروت.

١٠-**الزجاج (أبو القاسم عبد الرحمن)**: الإيضاح في علل النحو- تحقيق مازن المبارك - القاهرة.

١١-**الزمخشري**: الكشاف - ط دار الكتب العلمية - بيروت.
١٢-**سيبويه (أبو بشر عمرو)**: الكتاب - ط المطبعة الكبري الأميرية ببولاق مصر المحمية س ١٤١٧هـ، وأخري ط مكتبة المتنبي - القاهرة.
١٣-**السمين الحلبي (أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم)**: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - تحقيق على محمد معوض ورفاقه.
١٤-**سيد قطب**: الظلال - ط دار الشروق.
١٥-**ابن سيده (على بن إسماعيل)**: المحكم والمحيط الأعظم ط دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان - وتحقيق د/ عبد الحميد هنداوي.
١٦-**الطاهر بن عاشور**: التحرير والتنوير -ط الدار التونسية للتوزيع والنشر.
١٧-**الطبري (ابن جرير)**: تفسيره ط دار الريان للتراث.
١٨-**الطيبي (الحسين بن عبد الله بن محمد)**:
* التبيان في المعاني والبيان - ط المكتبة التجارية - مكة المكرمة - تحقيق د/عبد الحميد هنداوي
*فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب/ حاشية الطيبي على الكشاف في دار الكتب المصرية - تحقيق جميل الحسين محمود.
١٩-**ابن عطية (أبو محمد عبد الحق غالب)**: المحرر الوجيز - تحقيق على عوض وزميله - دار الكتب

العلميه.
٢٠-**فاضل مصطفي الساقي**: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة - الخانجي.
٢١-**الفراء**: معاني القرآن - تحقيق أحمد نجاتي وزميله، الهيئة ١٩٨٠ ط٢ الخانجي بمصر.
٢٢- **القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد)**: الجامع لأحكام القرآن ط دار الريان.
٢٣-**ابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي)**: تفسيره - المكتبة التوفيقية - الأزهر الشريف.
٢٤-**مالك يوسف المطلبي**: الزمن واللغة - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٦م.

٢٥-**محمد فؤاد عبد الباقي**: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - ط دار الحديث -القاهرة ١٩٨٤م.
٢٦-**ابن منظور**: لسان العرب - ط دار المعارف- القاهرة.
٢٧-**مهدي المخزومي**: في النحو العربي - ط بيروت.
٢٨- **هنداوي (عبد الحميد أحمد يوسف)**:
*الطيبي وجهوده البلاغية - رسالة ماجستير في البلاغة العربية ط المكتبة التجارية - مكة المكرمة.
*التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة -دارسة نظرية تطبيقية - رسالة دكتوراة مؤسسة نزار الباز - مكة المكرمة.
*البلاغة بين التنظير والتطبيق (رعاية حال المتكلم في سورة البقرة دارسة نظرية تطبيقية) البيان ٢٠٠٢م.
***المخطوطات:**

-الطيبي: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب/ مخطوط بدار الكتب المصرية ٤٧٣ تفسير تيمور.
-فتوح الغيب للطيبي: تحقيق د/ جميل الحسين المحمود - سورتي الأنعام والأعراف دكتوراة - مخطوط بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

كتب للمؤلف
في علوم البلاغة والنقد والأدب المقارن

اسم الكتاب	نوعه
أضواء على مسيرة البلاغة العربية	تأليف
الأدب المقارن: المفهوم والقيمة	تأليف
الأطول على التلخيص	تحقيق
الإعجاز الصرفي للقرآن الكريم	تأليف
الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم	تحت الطبع
الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني	تحقيق
بلاغات النساء لابن طيفور	تحقيق ودراسة
البلاغة بين النظرية والتطبيق	تأليف
التبيان في المعاني والبيان للطيبي	تحقيق
التكرار الصيغي في الشعر العربي المعاصر	تحت الطبع
التكرار في الدراسات الأسلوبية الحديثة	بحث بصحيفة دار العلوم
التلخيص في علوم البلاغة للقزويني	تحقيق ودراسة
التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة دراسات نظرية تطبيقية	تأليف
الخصائص لابن جني	تحقيق
دلائل الإعجاز للجرجاني	تحقيق
الدلالة الفنية للأصوات	بحث
رسالة الأدب المقارن	بحث بصحيفة دار

	العلوم
سلسلة دراسات أسلوبية في القرآن الكريم	٣٠ جزء
شرح الدسوقي على التلخيص	تحقيق، دراسة
شرح السعد على تلخيص المفتاح	تحقيق ودراسة
شروح التبيان في المعاني والبيان للطيبي وتلميذه على بن عيسى	تحقيق ودراسة
الطراز للعلوي	تحقيق
العمدة لابن رشيق	تحقيق
عروس الأفراح شرح وتلخيص المفتاح للسبكي في علوم البلاغة	تحقيق ودراسة
علم البديع وفن الفصاحة للطيبي	تحقيق
عنوان المرقصات المطربات لابن سعيد الأندلسي	تحقيق
معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي	تحقيق ودراسة

الكاشف عن حقائق السنن وهو شرح بلاغي لمشكاة المصابيح للطيبي ١٣ مجلدا	تحقيق
الكامل في اللغة والأدب للمبرد	تحقيق
كيف تقرأ العمل الأدبي؟	تحت الطبع
لطائف التبيان في المعاني والبيان للطيبي	تحقيق ودراسة

المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده	تحقيق ودراسة
المرقصات المطربات لابن سعيد الأندلسي	تحقيق
مجموعة شروح التلخيص في علوم البلاغة	تحقيق ودراسة
مرآة المروآت للثعالبي	تحقيق
المطول على التلخيص	تحقيق
معالم على طريق النقد الأدبي	تأليف
من بلاغة الكتاب والسنة وهو الإمام الطيبي وتجديداته البلاغية	تأليف
مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي	تحقيق ودراسة
وجوه البلاغة في متشابه القرآن	تحت الطبع

فهرس الموضوعات

بين يدي البحث ٣
أسس منهج الدراسة الأسلوبية للبحث ٨
دراسة أسلوبية في القرآن الكريم ١١
سورة النازعات قراءة أسلوبية ١١
الغرض العام والأفكار الأساسية ١٢
الفكرة الأولى: " التذكير بالموت والبعث" (النازعات ١-٥) ١٥
*أولاً: التطابق على المستوى المعجمي ١٥
*ثانياً: التطابق على المستوى الصوتي ١٩
*ثالثاً: التطابق على المستوى الصرفي ٢٣
*رابعاً: التطابق على المستوى النحوي ٣٤
الفكرة الثانية: "تصوير مشاهد البعث والقيامة وما فيها من أهوال وأوجال" (النازعات:٦-١٤) ٣٧
*أولاً: تحقق المطابقة على المستوى المعجمي ٣٧
*ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي ٤١
*ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى الصرفي ٤٣
*رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي ٥٢

الفكرة الثالثة: "بيان جزاء المكذبين بالبعث من خلال قصة فرعون مع موسى عليه السلام والاعتبار بحالهم ومآلهم" (النازعات ١٥-٢٦) ٦٢
*أولاً: تحقق المطابقة علىالمستوى المعجمي ٦٣
*ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي ٧١
*ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى الصرفي ٧٢
*رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي ٧٣
الفكرة الرابعة: "عظة المكذبين ببيان دلائل قدرة الله تعالى في الكون وقدرته على بعثهم والامتنان عليهم بنعمه" (النازعات ٢٧-٣٣) ٨١
*أولاً: تحقق المطابقة على المستوى المعجمى ٨٢
*ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي ٨٧
*ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى الصرفي ٨٩

*رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي ٩٠
الفكرة الخامسة: "التذكير بالبعث والحساب وبيان أهواله وتصوير مشاهد الحساب يوم القيامة" (النازعات٣٤-٤١) ٩٥
*أولاً: تحقق المطابقة على المستوى المعجمى ٩٧
*ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي ١٠٠
*ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى الصرفي ١٠١
*رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي ١٠٤
الفكرة السادسة: "تهديد المكذبين المستبعدين للساعة وتعظيم أمرها وتهوين قيمة الدنيا إزاءها" (النازعات ٤٢-٤٦) ١٠٨
*أولاً: تحقق المطابقة على المستوى المعجمى ١١٠
*ثانياً: تحقق المطابقة على المستوى الصوتي ١١١
*ثالثاً: تحقق المطابقة على المستوى ١١٢

الصرفي
*رابعاً: تحقق المطابقة على المستوى النحوي ١١٣
الخاتمة ١١٧
فهرس الآيات ١٢٤
فهرس المراجع والمصادر ١٢٧
قائمة بكتب المؤلف ١٣٠